شرح

ثلاثة الأصول

حقوق الطبع محفوظة لدار النصيحة

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع: ٤٣٠٧/ ٢٠٠٧م

الترقيم الدولي: ١ - ٠٧ - ٦٢٠٢ - ٩٧٧

المملكة العربية السعودية - المدينة النبوية - حي الفيصلية - أمام الباب الجنوبي للجامعة الإسلامية

جوال: ٠٥٤/٣٤٧٣٢٣ - ت وفاكس: ٨٤٧٠٧٠٨

البريد الإلكتروني: Daralnasihaa@yahoo.com

شرح

ثلاثة الأصول

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ العلامة

الدكتور محمد أمان الجامي

اعتنى به وخرج أحاديثه

أبو محمد

محمود بن إبراهيم الطرابلسي

غفر الله له ولوالديه

مكتبة دار النصيحة

السعودية - ٠٠٩٦٦٠٥٠٤٣٤٧٣٢٣

دار المدينة النبوية

مصر - ٠٠٢/٠١٠١٨٠٦٣١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا اله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١][1].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[2].

وبعد، فإن علماء الشريعة الراسخين فيها هم ورثة النبي محمد ﷺ وحماة الدين من بعده، والمبلِّغون شريعته إلى الناس، فهم للأمة سرجٌ يستضاء بهم في الظلمات، وهم الأدلاء على اللَّه، وإن من سعادة الدنيا أن يوفق المسلم لطلب العلم الشرعي، ومجالسة

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان يعلمها النبي ﷺ أصحابه، وقد أخرج هذا القسم منها أبو داود في السنن كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح (٢/ ٤٠٨)، والترمذي في الجامع أبواب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح (٢/ ٣٩٨)، والنسائي في السنن (مع حاشية السيوطي) كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة (٣/ ١١٦)، وابن ماجه في السنن كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٣/ ٣٣٦) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه، وقد أفردها الإمام الألباني رحمه الله في رسالة صغيرة ماتعة؛ فلتراجع.

(٢) هذه بقية الخطبة، وقد أخرج هذا القسم مسلم في الصحيح كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٢/ ٥٩٢)، والنسائي في السنن (مع حاشية السيوطي) كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة (٣/ ٢٠٩)، والدارمي في المسند برقم (٢١٠) عن جابر رضي الله عنه.

العلماء، والنهل من معينهم، وخدمة ما تركوه من آثار وتراث.

ولقد كان من أجلِّ علماء هذا العصر: العلامة السلفي المجاهد الشيخ د/ محمد أمان بن علي الجامي- بلَّ اللَّه بالرحمة ثراه، وأحلَّ عليه مغفرته ورضاه- فقد رزقه اللَّه علمًا واسعًا، وفقهًا ورسوخًا في الدين، وزاده إلى ذلك حسن البيان، والحرص على المنهج الصحيح في تلقي العلم، فشرح كثيرًا من كتب الاعتقاد بعبارة سهلة وأسلوب واضح، يراعي في شروحه اختلاف درجات الطلاب وما بينهم من التفاوت العلمي والتأصيل المنهجي.

ومن بين الكتب التي أولاها عنايته: الرسالة المباركة النافعة الموسومة بـ «ثلاثة الأصول» لمؤلفها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ فشرحها عدة مرار، أطال في بعض منها، وأوجز في بعض آخر، وكلها كسائر شروحه وتعليقاته، لا تزال مسجلة بصوته، ونفع اللَّه بها من شاء من عباده، ولا شك أن الانتفاع بتلك الشروح أن تخرج للناس مكتوبة مطبوعة، ليعم نفعها، ويتيسر انتشارها.

وقد نشطت لنقل شروح الشيخ على ثلاثة الأصول وإخراجها مكتوبة مطبوعة، راجيًا بذلك وجه اللَّه عَزَّوَجَلَّ، وتيسير العلم لطلابه، وهي باكورة سلسلة متلاحقة تجمع آثار الشيخ وشروحه المختلفة على كتب الاعتقاد المتنوعة [1].

منهجي في نقل كلام الشيخ:

١- جمعت أربعة شروح للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أحدها يقع في سبعة أشرطة تسجيلية، وآخر في ستة، وثالث في خمسة، ورابع يقع في شريطين، فجعلت أولها أصلاً لمادة الشرح، وما كان في غيره من زيادة ليست في الأصل أضفتها وذكرت مصدرها على هامش الشرح، وقد رمزت للشرح الثاني بـ(أ) والثالث بـ(ب) والرابع بـ(ج).

٢- والتزمت ذكر عبارة الشيخ بنصها مادام الكلام مستقيمًا واضحًا، ولم أتصرف

(١) سيصدر قريبًا- إن شاء اللَّه- من هذه السلسلة: «شرح كتاب تجريد التوحيد المفيد للمقريزي»، و«شرح القواعد المثلى لابن عثيمين»، وكذلك «شرح التدمرية» و«الواسطية» و«الحموية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وغير ذلك من الشروحات التي قام بشرحها الشيخ، ونسأل اللَّه الإعانة على ذلك.

فيه بتغيير إلا إذا كانت الحاجة ماسة إلى ذلك، فإن الكلام المرتجل يقع فيه ما يقع من ضعف السبك، وعدم ترابط الجمل، وعلى العموم فهذا التغيير قليل جدًّا.

٣- خرَّجت ما ورد في كلام الشيخين من أحاديث وآثار قدر الجهد والطاقة، ناقلًا أحكام أهل العلم عليها إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما فاكتفيت بعزوه.

٤- ترجمت للأعلام الذين ذكروا في الرسالة ترجمة مختصرة، وعرفت بما ورد فيها من أسماء الفرق والطوائف وبعض المصطلحات.

٥- قدمت للشرح بترجمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخرى للشارح-رحمهما اللَّه تعالى-.

٦- ذيلت الكتاب بفهرس للفوائد والمواضيع الواردة في الشرح.

هذا وأسأل اللَّه -جل في علاه- أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه نافعًا لعباده متقبَّلًا لديه، وأن يغفر للشيخين ويرحمهما، ويسكنهما الفردوس الأعلى، كما أسأله سبحانه أن يجزي خير الجزاء كل من أعان على إخراج هذا العمل، سواء بفائدة أو استدراك أو طباعة أو مراجعة وغير ذلك، وأسأله سبحانه أن يوفق المسلمين لكل خير، وأن يعز الإسلام وأهله، وأن يعلي راية التوحيد والسنة في كل مكان، والحمد للَّه رب العالمين.

وكتبه:

أبو محمد محمود بن إبراهيم الطرابلسي

صباح اليوم العاشر من شعبان

عام سبعة وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة

بالمدينة النبوية

ترجمة مختصرة للإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر بن وهب بن تميم.

مولده:

ولد في بلدة العيينة سنة (١١١٥ هـ) في بيت علم وشرف ودين؛ فأبوه عالم كبير وجده سليمان عالم نجد في زمانه.

نشأته وطلبه للعلم:

حفظ القرآن قبل بلوغه عشر سنين، ودرس الفقه حتى نال حظًّا وافرًا من العلم وكان موضع الإعجاب من والده لقوة حفظه، وكان كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث، وجدَّ في طلب العلم ليلًا ونهارًا فكان يحفظ المتون العلمية في شتى الفنون، ورحل في طلب العلم إلى الأحساء ودرس على علمائها مثل الشيخ عبد اللَّه الفيروز، وأبي محمد الكفيف، والشيخ عبد اللَّه بن عبد اللطيف القاضي، ومن ثَمَّ ذهب إلى مكة والمدينة وقرأ على علماء المدينة ومنهم العلامة الشيخ عبد اللَّه بن إبراهيم الشمري، كما قرأ على ابنه الفرضي الشهير بإبراهيم الشمري مؤلف كتاب: «العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض»، وعرفاه بالمحدث الشهير محمد حياة السندي فقرأ عليه في علم الحديث ورجاله وأجازه بالأمَّات، ثم دخل العراق وقرأ على علمائها في البصرة.

وكان الإمام محمد بن عبد الوهاب قد وهبه اللَّه فهمًا ثاقبًا وذكاءً مفرطًا وأكب على المطالعة والبحث والتأليف، وكان يثبت ما يمر عليه من فوائد أثناء القراءة والبحث وكان لا يسأم من الكتابة، وقد خط كتبًا كثيرة من مؤلفات ابن تيمية وابن القيم -رحمهما اللَّه- ولا تزال بعض المخطوطات الثمينة بقلمه موجودة بالمتاحف.

دعوته :

كانت حالة المسلمين في نجد وفي العالم الإسلامي عمومًا قد غلب عليها ظهور البدع والشركيات والخرافات والجهل بحقيقة الدين الصحيح، فكانت نجد ممتلئة بالقبور والأشجار والأحجار التي تعبد من دون اللَّه وكانوا يتقربون لها بأنواع من القربات، وكذلك في الحجاز وفي اليمن الشيء الكثير، كما ذكر ذلك المؤرخون كابن غنام وابن بشر وغيرهما .

وفي هذا الوسط المظلم خرجت دعوة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ورفع بها صوته منكرًا هذه الشركيات والبدع داعيًا الناس إلى التوحيد الذي بعث اللَّه به الرسول ﷺ، فلقي من الناس ما لقيه أمثاله من الدعاة إلى اللَّه من الأذى، وأطاعه من وفقه اللَّه لقبول الحق .

وبدأ الشيخ دعوته في بلدة «حريملاء» لوجود والده فيها، ولكن لما كانت الظروف غير مواتية ترك هذه البلدة واتجه إلى العيينة واتصل بأميرها عثمان بن معمر، فساعده في أول الأمر، فاجتمع حوله طلبة العلم وبدأ الشيخ بتنفيذ الأحكام الشرعية؛ فهدم بعض القباب الشركية، ورجم مَن زَنَى .

ثم إن ابن معمر تخلى عنه خوفًا من تهديد بعض الرؤساء، فترك الشيخ العيينة واتجه إلى الدرعية واتصل بأميرها محمد بن سعود وعرض عليه دعوته فقبلها وبايعه على مناصرته، وفعل -رحمه اللَّه تعالى-، وعقد الدروس والحلق ووفد إليه طلبة العلم من مختلف الجهات، وتكونت في هذه البلدة ولاية إسلامية تحكم بشرع اللَّه وتقيم حدود اللَّه أميرها محمد بن سعود وموجهها محمد بن عبد الوهاب -رحمهما اللَّه تعالى-، وللَّه الحمد فثمار هذه الدعوة باقية إلى هذا الوقت .

ومن ثمار هذه الدعوة: تصحيح العقيدة الإسلامية من الشركيات والبدع والخرافات العالقة بها، وإرجاعها إلى كتاب اللَّه وسنة المصطفى ﷺ .

ومن ثمارها : وجود حركة علمية واعية متحررة من التقليد الأعمى، وانتشار العلماء في جميع أقطار هذا البلد فساهموا في نشر الدعوة ورعايتها سواء من كان في وقت الشيخ أو من أتى بعده من أحفاده أو من تلاميذهم -رحم اللَّه الجميع- .

ومن ثمارها: تأسيس الجامعات الإسلامية التي تخرج منها الكثير من طلبة العلم والعلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي مسلحين بالعقيدة السلفية الصحيحة والفكر السليم، ينتشرون في جميع أنحاء المعمورة لنشر الدين الصحيح متبعين كتاب اللَّه وما جاء من سنة المصطفى -عليه الصلاة والسلام-.

واللَّه أسأل أن يغفر لهذا الإمام وكل من أعانه على نشر هذه الدعوة سواء من الأمراء أو العلماء، وأن يبارك فيها.

وهذا بعض ما جاء عن الأئمة الأعلام من الثناء على هذا الإمام وعلى دعوته:

** قال العلامة الشيخ محمد بن علي الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

لقد أشرقت نجد بنور ضيائه وقام مقامات الهدى بالدلائل
فما هو إلا قائم في زمانه مقام نبي في إماتة باطل

** وقال العلامة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرًا ما طوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمر أركان الشريعة هادمًا مشاهد ضلَّ الناس فيها عن الرشد

تلاميذه:

أخذ عنه العلم عدة علماء من بنيه وغيرهم من علماء الدرعية وسائر النواحي، وممن برز منهم أبناؤه: الشيخ عبد اللَّه وحسين وعلي، وحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ حمد بن ناصر بن معمر، والشيخ عبد العزيز الحصين، والشيخ سعيد بن حجي، والشيخ محمد بن سويلم، والشيخ محمد بن سلطان وغيرهم كثير.

من أشهر مؤلفاته:

١- كتاب التوحيد الذي هو حق اللَّه على العبيد.

٢- كشف الشبهات.

٣- ثلاثة الأصول.

٤- نواقض الإسلام.

٥- مسائل الجاهلية.

٦- مختصر زاد المعاد.

٧- مختصر الإنصاف والشرح الكبير.

وفاته:

توفي-رحمه اللَّه تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى- سنة (١٢٠٦هـ) بعد عمر يقارب ٩١ سنة، قد عمرها بالعلم النافع والدعوة إلى اللَّه -تبارك وتعالى- والجهاد والتعليم، رحمه اللَّه تعالى رحمة واسعة ورضي عنه؛ إنه سميع مجيب [١].

(١) من مصادر ترجمته: كتاب: «الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته»، لسماحة الشيخ الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه اللَّه تعالى-، وكتاب: «من مشاهير المجددين»، لفضيلة الشيخ د/ صالح الفوزان -حفظه اللَّه-، وكتاب: «علماء الدعوة»، للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد اللَّه آل الشيخ.

ترجمة فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي -رحمه الله تعالى-[1]

اسمه ونسبه:

هو: أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي.

موطنه ومولده:

الحبشة، منطقة هرر، قرية «طغا طاب»، وُلد كما هو مدوَّن في أوراقه الرسمية سنة ١٣٤٩ هـ.

** طلبه للعلم:

أ- طلبه للعلم في الحبشة:

نشأ الشيخ في قرية «طغا طاب» وفيها تعلم القرآن الكريم، وبعدما ختمه شرع في دراسة كتب الفقه على مذهب الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، ودرس العربية في قريته أيضًا على الشيخ محمد أمين الهرري، ثم ترك قريته على عادة أهل تلك الناحية إلى قرية أخرى، وفيها التقى مع زميل طلبه وهجرته إلى البلاد السعودية الشيخ عبد الكريم، فانعقدت بينهما الأخوة الإسلامية ثم ذهبا معًا إلى شيخ يُسمى الشيخ موسى، ودرسا عليه نظم الزبد لابن رسلان، ثم درسا متن «المنهاج» على الشيخ أبادر وتعلما في هذه القرية عدة فنون.

ثم اشتاقا إلى السفر للبلاد المقدسة مكة المكرمة للتعلم وأداء فريضة الحج، فخرجا من الحبشة إلى الصومال فركبا البحر متوجيهن إلى عدن -حيث واجهتهما مصاعب ومخاطر في البحر والبر- ثم سارا إلى الحُدَيدة سيرًا على الأقدام فصاما شهر رمضان فيها ثم غادرا إلى السعودية فمرا بصامطة وأبي عريش حتى حصلا على إذن الدخول إلى مكة وكان هذا سيرًا على الأقدام.

---

(١) وأصل هذه الترجمة هي من مطوية من إعداد القسم العلمي بمكتبة الفرقان.

وفي اليمن حذرهما بعض الشيوخ فيها من الدعوة السلفية التي يطلقون عليها الوهابية.

ب- طلبه للعلم في السعودية:

بعد أداء الشيخ فريضة الحج عام (١٣٦٩هـ) بدأ رَحِمَهُ اللَّهُ طلبه للعلم بالمسجد الحرام في حلقات العلم المبثوثة في رحابه، واستفاد من فضيلة الشيخ عبد الرزاق حمزة رَحِمَهُ اللَّهُ، وفضيلة الشيخ عبد الحق الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ، وفضيلة الشيخ محمد عبد اللَّه الصومالي، وغيرهم.

وفي مكة تعرَّف على سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وصَحِبهُ في سفره إلى الرياض لما افتُتح المعهد العلمي، وكان ذلك في أوائل السبعينيات الهجرية.

وممن زامله في دراسته الثانوية بالمعهد العلمي فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد، وفضيلة الشيخ علي بن مهنا القاضي بالمحكمة الشرعية الكبرى بالمدينة سابقًا، كما أنه لازم حِلَق العلم المنتشرة في الرياض، فقد استفاد وتأثر بسماحة المفتي العلاَّمة الفقيه الأصولي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، كما كان ملازمًا لفضيلة الشيخ عبد الرحمن الإفريقي رَحِمَهُ اللَّهُ، كما لازم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، فنهل من علمهِ الجم وخُلُقهِ الكريم.

كما أخذ العلم بالرياض على فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، وفضيلة الشيخ العلاَّمة المحدِّث حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللَّهُ، وتأثر المُتَرجم له بالشيخ عبد الرزاق عفيفي كثيرًا حتى في أسلوب تدريسه، كما استفاد وتأثر بفضيلة الشيخ العلاَّمة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث كانت بينهما مراسلات، علمًا بأن المُتَرجم له لم يدرس على الشيخ السعدي، كما تعلم على فضيلة الشيخ العلاَّمة محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان متأثرًا به أيضًا، كما استفاد من فضيلة الشيخ عبد اللَّه القرعاوي رَحِمَهُ اللَّهُ.

مؤهلاته العلمية:

حصل على الثانوية من المعهد العلمي بالرياض، ثم انتسب بكلية الشريعة وحصل على شهادتها سنة (١٣٨٠هـ)، ثم معادلة الماجستير في الشريعة من جامعة البنجاب (عام ١٩٧٤م)، ثم الدكتوراه من دار العلوم بالقاهرة.

فصلٌ في مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

لقد كان للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مكانته العلمية عند أهل العلم والفضل، فقد ذكروه بالجميل وكان محل ثقتهم، بل بلغت الثقة بعلمه وعقيدته أنه عندما كان طالبًا في الرياض، ورأى شيخه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ نجابته وحرصه على العلم قدمه إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث تم التعاقد معه للتدريس بمعهد صامطة العلمي بمنطقة جازان.

وأيضًا مما يدل على الثقة بعلمه وعقيدته ومكانته عند أهل العلم: أنه عند افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة انتُدب للتدريس فيها بعد وقوع اختيار سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عليه، ومعلوم أن الجامعة الإسلامية أُنشئت لنشر العقيدة السلفية، وقد أوكَلَت الجامعة تدريس هذه العقيدة إلى فضيلة المُتَرجم له بالمعهد الثانوي ثم بكلية الشريعة ثقةً بعقيدته وعلمه ومنهجه رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك ليُسهم في تحقيق أهداف الجامعة.

وإليك أخي القارئ كلام العلماء الثقات فيما كتبوه عن الشيخ -رحمه اللَّه تعالى-:

* **سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه اللَّه تعالى-:** ففي كتاب سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية رقم ٦٤ في (٩/ ١/ ١٤١٨هـ) قال عن الشيخ محمد أمان: «معروفٌ لديَّ بالعلم والفضل وحسن العقيدة، والنشاط في الدعوة إلى اللَّه سبحانه والتحذير من البدع والخرافات، غفر اللَّه له، وأسكنه فسيح جناته، وأصلح ذريته وجمعنا وإياكم وإياه في دار كرامته إنه سميع قريب».

* **فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان عضو هيئة كبار العلماء:** وكتب فضيلته في كتابه المؤرخ (٣/ ٣/ ١٤١٨هـ) قائلًا: «الشيخ محمد أمان كما عرفته: إن المتعلمين وحملة الشهادات العليا المتنوعة كثيرون، ولكن قليلٌ منهم من يستفيد من علمه ويستفاد منه، والشيخ محمد أمان الجامي هو من تلك القلة النادرة من العلماء الذين سخَّروا علمهم وجهدهم في نفع المسلمين وتوجيههم بالدعوة إلى اللَّه على بصيرة من خلال تدريسه في الجامعة الإسلامية، وفي المسجد النبوي الشريف، وفي جولاته في الأقطار الإسلامية الخارجية وتجواله في المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات في مختلف

المناطق يدعو إلى التوحيد وينشر العقيدة الصحيحة ويوجِّه شباب الأمة إلى منهج السلف الصالح ويحذِّرهم من المبادئ الهدامة والدعوات المضللة، ومن لم يعرفه شخصيًّا فليعرفه من خلال كتبه المفيدة وأشرطته العديدة التي تتضمن فيض ما يحمله من علم غزير ونفع كثير».

* **فضيلة الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد المدرس بالمسجد النبوي** -حفظه اللَّه-: «عرفتُ الشيخ محمد أمان بن علي الجامي طالبًا في معهد الرياض العلمي ثم مدرِّسًا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في المرحلة الثانوية ثم في المرحلة الجامعية، عرفته حسن العقيدة، سليم الاتجاه، وله عناية في بيان العقيدة على مذهب السلف، والتحذير من البدع وذلك في دروسه ومحاضراته وكتاباته، غفر اللَّه له ورحمه وأجزل له المثوبة».

* **فضيلة الشيخ عمر بن محمد فلاته المدرس بالمسجد النبوي ومدير شعبة دار الحديث** رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتابه المؤرخ في (٨/ ٢/ ١٤١٧هـ) فمما جاء فيه:** «وبالجملة فلقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ صادق اللَّهجة عظيم الانتماء لمذهب أهل السنة، قوي الإرادة داعيًا إلى اللَّه بقوله وعمله ولسانه، عفَّ اللسان قوي البيان سريع الغضب عند انتهاك حرمات اللَّه، تتحدث عنه مجالسُهُ في المسجد النبوي الشريف التي أدَّاها وقام بها، وتآليفه التي نشرها، ورحلاته التي قام بها، ولقد رافقته في السفر فكان نعم الصديق، ورافق هو فضيلة الشيخ العلاَّمة محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب أضواء البيان وغيره -فكان له أيضًا نعم الرفيق- والسفر هو الذي يُظهر الرجالَ على حقيقتهم.

لا يجامل ولا ينافق ولا يماري ولا يجادل، إن كان معه الدليل صدع به، وإن ظهر له خلاف ما هو عليه قال به ورجع إليه وهذا هو دأب المؤمنين كما قال اللَّه تعالى في كتابه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ الآية. وأُشهدُ اللَّه تعالى أنه رَحِمَهُ اللَّهُ قد أدى كثيرًا مما عليه من خدمة الدين، ونشر سنة سيد المرسلين، ولقد صادف كثيرًا من الأذى وكثيرًا من الكيد والمكر فلم ينثنِ ولم يفزع حتى لقي اللَّه، وكان آخر كلامه شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه».

فصلٌ في ذكر بعض مؤلفاته

منها كتاب: «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه» وهو من أنفع كتبه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكتاب: «أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام» ويحتوي هذا الكتاب على عدة محاضرات فيها تقريرُ العقيدة السلفية وعرضٌ للدعوة في إفريقيا، وذكرٌ لمشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث مع الحلول المناسبة لتلك المشاكل، ورد على الصوفية.

وكتاب: «مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسُنة».

ورسالة بعنوان: «المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية» وهي في الأصل محاضرة ألقاها في السودان سنة (١٣٨٣هـ) وردَّ فيها على الملحد محمود طه.

ورسالة بعنوان: «حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام» وهي في الأصل محاضرة ألقاها سنة (١٤١٢هـ).

ورسالة بعنوان: «حقيقة الشورى في الإسلام».

ورسالة بعنوان: «العقيدة الإسلامية وتاريخها».

فصل في ذكر بعض تلاميذه

رجلٌ هذه مكانته عند ذوي العلم، وهذه جهوده في الدعوة إلى اللَّه تعالى وحبه لهذه العقيدة السلفية الخالدة التي أوذي في سبيل نشرها وتقريرها في نفوس المسلمين، سواء في داخل المملكة أو خارجها، يصعُبُ حصر طلبته وتلاميذه، وكان من أبرز طلبته كل من:

فضيلة الشيخ العلامة الدكتور ربيع بن هادي المدخلي -حفظه اللَّه ورعاه-، وفضيلة الشيخ العلاَّمة زيد بن هادي المدخلي -حفظه اللَّه-، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور علي بن ناصر فقيهي المدرس بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي -حفظه اللَّه-، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد حمود الوائلي المدرس بالمسجد النبوي ووكيل الجامعة الإسلامية للدراسات العليا -حفظه اللَّه-، وفضيلة الشيخ

المحدِّث عبد القادر بن حبيب اللَّه السندي رَحِمَهُ اللَّهُ، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية سابقًا -حفظه اللَّه-، وفضيلة الشيخ الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي المدرس بالمسجد النبوي والجامعة الإسلامية -حفظه اللَّه-، وفضيلة الشيخ العلامة الدكتور بكر بن عبد اللَّه أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء -حفظه اللَّه-، وفضيلة الشيخ د/ عبد اللَّه بن عبد الرحيم البخاري المدرس بالجامعة الإسلامية -حفظه اللَّه-، وآخرين يصعب حصرهم.

بعض أخلاقه الفاضلة

١- كان -رحمه اللَّه تعالى- ناصحًا - فيما نحسب- للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ويظهر ذلك بأدنى تأمل، فقد نذر حياته في تقرير عقيدة السلف الصالح، وذلك من خلال دروسه وتآليفه ومحاضراته وردوده على المخالفين للكتاب والسنة، وكان عادلًا في رده على المخالف مجانبًا للعصبية والهوى.

٢- قلة مخالطته للناس: كان رَحِمَهُ اللَّهُ معروفًا بقلة مخالطته للناس إلا في الخير، فأغلب أوقاته وأيامه محفوظة، وطريقته في ذلك معروفة إذ يخرج من البيت إلى العمل بالجامعة ثم يعود إلى البيت ثم إلى المسجد النبوي الشريف لإلقاء دروسه بعد العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وبعد الفجر، وهكذا إلى أن لازم الفراش بسبب اشتداد المرض.

٣- عِفة لسانه: كان رَحِمَهُ اللَّهُ عف اللسان لا يلمز ولا يطعن ولا يغتاب، بل ولا يسمح لأحد أن يغتاب أحدًا بحضرته، ولا يسمح بنقل الكلام وعيوب الناس إليه، وإذا وقع بعض طلبة العلم في خطأ طلب الشريط أو الكتاب فيسمع أو يقرأ، فإذا ظهر له أنه خطأ قام بما يجب على مثله من النصيحة.

٤- عفوه وحلمه: فبقدر ما واجه من الأذى والمحن والكيد والمكر، قابل من أساء إليه بالحلم والعفو، وقد كان يأتيه بعض من كان ينال من عرضه بالسب، أو الطعن، أو الافتراء، فيستسمح منه فيقول رَحِمَهُ اللَّهُ: أرجو اللَّه تعالى ألا يُدخل أحدًا النار بسببي، ويسامح من يتكلم في عرضه ويقول: لا داعي لأن يأتي من يعتذر فإني قد عفوت عن

الجميع، ويطلب من جلسائه إبلاغ ذلك عنه.

٥- عنايته وتعهده بطلبته: فقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ من الذين يولون طلابهم عناية خاصة لا تنتهي بانتهاء الدرس، بل كان يحضر مناسباتهم ويسأل عن أحوالهم، ويعالج بعض مشاكلهم الأسرية، وبالجملة فلقد كان يبذل ماله وجاهه ووقته لمساعدة المحتاج منهم، وكان هذا التصرف منه يترك أثرًا بالغًا عند طلابه، فرُزق بسبب ذلك المحبة الصادقة منهم، وقد شعروا بعد موته بفراغ في هذه الناحية.

والحق: إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ اجتمعت فيه خصالُ خيرٍ كثيرة، وما تم نقله آنفًا عن أهل العلم كافٍ واللَّه أعلم.

فصلٌ في عقيدته السلفية

مما يدل على عقيدة الشيخ السلفية: أنه كان يدرِّس كتب العقيدة السلفية مثل: «الواسطية»، و«الفتوى الحموية الكبرى»، و«التدمرية»، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز، و«الإيمان»، و«ثلاثة الأصول»، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، و«قرة عيون الموحدين»، و«الأصول الستة»، و«الواجبات المتحتمات»، و«القواعد المثلى»، و«تجريد التوحيد المفيد» للمقريزي.

وردُّه على أهل البدع كالأشاعرة والصوفية والشيعة الروافض وذلك في كتبه ومقالاته في المجلات العلمية وفي محاضراته ودروسه فعلى سبيل المثال كتابه: «أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام» يدل على ذلك دلالة واضحة، وأضف إلى ذلك شهادة أهل العلم له بذلك كما تقدم النقل عنهم.

مرضُه وموتُه:

لقد أُبتلي في آخر عمره -رحمه اللَّه تعالى رحمة واسعة- بمرضٍ عُضال حتى ألزمه الفراش نحو عام فصبر واحتسب، وفي صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شعبان سنة (١٤١٦هـ) أسلمَ روحه لبارئها، فصُلي عليه بعد الظهر، ودُفن في بقيع الغرقد بالمدينة النبوية.

وشهد دفنه جمعٌ كبير من العلماء والقضاة وطلبة العلم وغيرهم، وبموته حصل نقص في العلماء العاملين.

فنسأل اللَّه تعالى أن يغفر له ويرحمه ويخلف على المسلمين عددًا من العلماء العاملين آمين.

* * *

بسم اللَّه الرحمن الرحيم، اعلم رحمك اللَّه أنه يجِب علينا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ:
«الأُولى»: العِلم، وهو مَعْرِفَةُ اللَّهِ، ومعرِفةُ نَبِيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلام بالأَدلَّةِ.

قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

الشرح: [بدأ الشيخ رسالته بالبسملة عملًا بالأحاديث الواردة بالافتتاح بالبسملة والحمدلة مع ما فيها من مقال، وتأسيًا بكتاب اللَّه تعالى، وهو الذي درج عليه أهل العلم قديمًا وحديثًا][1].

قو له: « اعلم رحمك اللَّه أنه يجِب علينا تَعَلُّمُ ».

الشرح: هذا الخطاب موجه إلى كل قارئ وكل سامع وكل من يصلح أن يوجه إليه الخطاب.

«يجِب علينا تَعَلُّمُ » ليس معنى يجب علينا نحن طلاب العلم لا، يجب علينا نحن معاشر المسلمين، لأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة ليس مما يجب على الشباب وعلى طلاب العلم فقط، بل مما يجب على كل مسلم ومسلمة، أي يجب علينا نحن معاشر المسلمين تعلم أربع مسائل: الأولى: العلم، الثانية: العمل بالعلم، الثالثة: الدعوة إلى ذلك العلم الذي تعلمت، الرابعة: الصبر على الأذى في اللَّه تعالى وفى سبيل تحصيل العلم وفي سبيل العمل بالعلم وفي سبيل الدعوة إلى العلم.

قو له: «الأُولى: العِلم، وهو مَعْرِفَةُ اللَّهِ».

الشرح: المسألة الأولى: العلم، فسر العلم بالمعرفة فقال: هو معرفة اللَّه.

ما الفرق بين العلم والمعرفة؟ لماذا فسر الشيخ العلم بالمعرفة ؟ المعرفة أعمّ من العلم، العلم خاص بما لم يسبق بجهل لذلك يستعمل في حق اللَّه تعالى العلم، ولا تُستعمل المعرفة في حق اللَّه؛ لأن المعرفة هي المسبوقة بجهل أي الإدراك المكتسب بعد أن لم يكن، إذن بالنسبة لنا يقال: له علم ويقال: له معرفة، وبالنسبة في حق اللَّه

---

(١) هذا من (ب).

.....

تعالى يقال: له العلم فقط.

والمراد بالعلم هنا: هو معرفة اللَّه بأسمائه وصفاته، و معرفة اللَّه بآلائه ونعمائه ومعرفة اللَّه بالآيات المتلوة والآيات الكونية، معرفة توجب محبته ﷻ، معرفة توجب خشيته وتعظيمه وتعظيم أمره وتعظيم شرعه، توجب مراقبته تعالى وخشيته وفي النهاية المحبة، لأن محبة اللَّه تعالى هي روح الإيمان، وإيمان المرء إذا خلا من محبة اللَّه تعالى كالجسد الميت.

ومعنى معرفة اللَّه ليست معرفة بالدعوى فقط، بل معرفة بهذه المعاني كلها وأكثر منها، ويدخل في ذلك توحيد الربوبية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الأسماء والصفات كل ذلك، وتصديق خبر الرب ﷻ ليدخل في ذلك الإيمان بالكتب السماوية والجنة والنار وغير ذلك من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، كل ذلك داخل في معرفة اللَّه.

قو له: «ومعرِفةُ نَبِيِّهِ».

الشرح: ومعرفة نبيه معرفة تبعثك على تصديق كل ما أخبر به، معرفة توجب طاعته وتصديق خبره، واتباع هديه، وتجريد المتابعة له بحيث لا تعارض قوله ﷺ بقول أحد، والذين يعارضون قول رسول اللَّه ﷺ بآراء الرجال وربما يقدمون آراء الرجال على سنة رسول اللَّه ﷺ لم يعرفوا نبي اللَّه حق المعرفة، لأنه من عرف بأنه رسول يطاع ولا يعصى وعبدٌ لا يعبد ونبي لا يكذب، لا يمكن أن يعارض أقواله وسنته وهديه بأقوال الرجال وآرائهم، ويدعي أحيانًا في بعض الأحاديث أنها مخالفة للقاعدة؛ من أين هذه القاعدة التي يخالفها هدي رسول اللَّه ﷺ ؟!

كل ما يسمى بالقواعد والأصول إن كانت مأخوذة من كتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ مثل هذه الأصول الثلاثة فهي مقبولة، وكل ما يسمى بالقواعد والأصول التي يؤصلها بعض الناس ويقعِّدونها مخالفة للكتاب والسنة فهي مردودة، وذلك دليل على عدم معرفتهم برسول اللَّه ﷺ حق المعرفة، ومعرفتُه المعرفة الشخصية، ومحبته المحبة الذاتية دون المحبة الشرعية الرسالية لا تفيد، وهذا شيء يعلمه كل مسلم.

.....

وإلا فإن بعض الكفار والمشركين كانوا يعرفون أمانته وصدقه، كانوا يعرفون هو رسول اللَّه، وكانوا يقدرونه غاية التقدير ولكنهم لم يتبعوه، ولم يحبوه محبة شرعية لذلك لم ينفعهم ذلك الموقف كأبي طالب كما نعلم، ومعرفة النبي ﷺ ليس بالأمر الهين؛ ثم محبته شعبة من شعب الإيمان.

ومن معرفة النبي ﷺ: أن تحبه أكثر مما تحب نفسك وأهلك ومالك[1]، يجب أن يعلم طلاب العلم أن كل من يحب دون اللَّه إنما يحب للَّه ولكن اللَّه يحب لذاته، ومن دونه بدءًا من رسوله ﷺ يحب للَّه، لذلك إذا لم تكن محبة الرسول ﷺ للَّه كأن كانت للقرابة أو لكونه عبقريًا لا تفيد ولم تفد تلك المحبة أبا طالب، ولم تفد المستشرقين الذين يقدرونه ويبالغون في تقديره لكونه عبقريًا في التاريخ لا لأنه رسول اللَّه ﷺ وهذا معنى ينبغي أن يتفطن له طلاب العلم.

قوله: «ومعرفةُ دينِ الإسلام».

الشرح: ومعرفة دين الإسلام، ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[2] كل ما أرسل به رسله فهو إسلام، ما جاء به نوح ﷺ إسلام، وما جاء به إبراهيم ﷺ إسلام، كل ما جاءت به الرسل فهو إسلام، لكن أصبح الإسلام أخيرًا علَمًا بالغلبة على ما جاء به خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد ﷺ، لذلك إذا أطلق الإسلام عند الإطلاق ينصرف إلى ما جاء به محمد ﷺ ولكن عند التحقيق كل ما أرسل اللَّه به رسله إلى الناس بدءًا من نوح إلى خاتمهم وإمامهم محمد ﷺ كل ذلك إسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3].

لذلك يجب معرفة هذا الدين الذي جاء به رسول اللَّه ﷺ فبه تعرف الأديان الأخرى، به تعرف الرسل، وما جاءت به الرسل، وتحب الرسل وتصدق الرسل فدين الرسول -عليه الصلاة والسلام- هو المفتاح لذلك.

---

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١/ ٢٢)، ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول اللَّه ﷺ (١/ ٦٧) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين».

(٢) (٣) [سورة آل عمران: ١٩].

.....

أما بعض التقاليد وبعض البدع التي ابتدعها بعض الناس ثم يسمونها إسلامًا كما نسمع في هذه الأيام في بعض الدساتير فيقولون: التقاليد الإسلامية كالمولد والختمة والذكر والتهليل وغير ذلك من الأسماء التي هي على غير مسمياتها، فإذا قالوا: الذكر من الإسلام لا يعنون الذكر الشرعي المراد بالذكر هناك مجالس يجتمع فيها الناس ويذكرون بالألفاظ المفردة اللَّه، لا يذكرون اللَّه بالتهليل والتسبيح والاستغفار وبالأذكار الشرعية، يبدءون بـ: اللَّه وينتهون بـ: هاللَّه هاللَّه ويسمونها مجالس الذكر، وهذه المجالس عندهم يجب أن تكون من الدين، ومن ينكر هذه المجالس ينكر الدين، والمراد بالختمة ما يفعل من البدع عند ختم القرآن، وكذلك التوسل والمراد به عندهم هو الاستغاثة بالصالحين ودعوة الصالحين والطواف بقبور الصالحين والنذر لهم يسمونه توسلًا؛ فإذا قام بعض الناس بجمع هذه العناوين وتقديمها للمجتمع على أن هذا هو الإسلام فهذا تضليل هذا جهل مركب منهم، وإن كانوا على علم، ولكن لينالوا المكانة عند الشعوب ولتضليل وتجهيل الناس بحقيقة الإسلام.

وحقيقة الإسلام: هو الاستسلام للَّه والانقياد له بالطاعة والعبادة، وكل ذلك لا ينفع إلا إذا كان مأخوذًا من مشكاة النبوة، وأيما عمل لا يؤخذ مما جاء به رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- ودرج عليه الصحابة لا يسمى إسلامًا وإن أعلن رسميًّا أنه من الإسلام[1].

قوله: «بالأدلَّةِ».

الشرح: معرفة كل ذلك بالأدلة: لابد من الأدلة، وكل علم يقدم بدون دليل فهو دعوى، والدعوى لابد لها من بينة، البينة: الدليل، الدليل هو: قال اللَّه، قال رسول اللَّه ﷺ، وإجماع الصحابة.

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٢/ ٢٦٧)، ومسلم في صحيحه كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (٣/ ١٣٤٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».

«الثَّانيَةُ»: العملُ به.

«الثالثة»: الدعوة إليه.

قوله: «المسألة الثانية: العمل به».

الشرح: العمل الصالح الخالص للَّه الموافق لهدي النبي -عليه الصلاة والسلام- يشمل أبواب العبادة، وأبواب الأحكام وكل الأعمال الصالحة، حتى الاقتصاد والسياسة والأخلاق إذا كانت صالحة داخلة في العمل الصالح، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ (١).

قوله: «الثالثة: الدعوة إليه».

الشرح: أي: الدعوة إلى اللَّه والدعوة إلى الإسلام، [والدعوة تكون بعد أن تعلم وتعمل بالعلم، والدعوة واجبة على كل مسلم عرف ربه وعرف نبيه وعرف دين الإسلام، وجب عليه أن يدعو إلى اللَّه ويدعو إلى دينه وإلى ما جاء به النبي ﷺ.

والدعوة دعوتان:

١- دعوة تأسيس: وهذه عندما توجه الدعوة إلى غير المسلمين؛ فتعلمهم العقيدة وتعلمهم الدين الإسلامي بالتفاصيل على حسب استطاعتك.

٢- دعوة تصحيح: وهي الدعوة الموجهة إلى المسلمين الذين انحرفوا عن دينهم، أو جهلوا العبادة الصحيحة، أو الذين دخل عليهم الشرك في عبادتهم والانحراف في أحكامهم، والذين جهلوا معنى لا إله إلا اللَّه، الذين يفسرونها بـ: (لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا اللَّه) وهذا ليس معنى لا إله إلا اللَّه، وهذا هو توحيد الربوبية الذي لم يجهله حتى أبو جهل؛ فكل الكفار يعلمون بأن اللَّه هو مدبر الأمر من السماء إلى الأرض وهذه شهادة كل كافر كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ (٢) فمعنى لا إله إلا اللَّه: (لا معبود بحق إلا اللَّه سبحانه)] (٣).

---

(١) [سورة العصر: ٣].

(٢) [سورة الزمر: ٣٨].

(٣) هذا من (ج).

«الرابعةُ»: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ.

قوله: «الرابعة: الصَّبْرُ على الأَذَى فيه».

الشرح: الصبر: هو حبس النفس وعدم الشكوى إلا للَّه ﷻ، ومن يدعُو الناس الدعوة العامة الشاملة، ويحاول أن يتقيد الناس بالدين الإسلامي الذي جاء به رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- في عقيدتهم في عبادتهم في معاملاتهم في سياستهم واقتصادهم وغير ذلك، لابد أن يؤذى ولابد، ولكن اللَّه لطيف في باب الإيذاء، يلطف بعباده إذا علم اللَّه من العبد الصلابة والقوة في إيمانه ابتلاه ابتلاء عظيمًا وسلط عليه أعداءه ليصطفيه وليرفع درجته، لذلك أعظم الناس بلاء: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل[1]، وإن علم الدقة والضعف في إيمانه لطف به وخفف عليه الامتحان والبلاء كحالنا كما ترون.

وانظروا إلى من قبلنا من الدعاة المصلحين بدءًا من الأنبياء وانظروا إلى حالنا، أولئك ابتلوا ذلك الابتلاء لأن اللَّه علم في إيمانهم القوة والصلابة، ولطف بنا ورحمنا وخفف عنا الامتحان والابتلاء لما يعلم منا من الرقة والضعف في إيماننا إنه بعباده لطيف خبير سبحانه.

---

(١) يشير الشيخ رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه الترمذي في الجامع، أبواب الزهد عن رسول اللَّه ﷺ، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/ ٢٠٣)، وابن ماجه في السنن كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٥/ ٤٩٣)، والنسائي في الكبرى كتاب الطب، باب أي الناس أشد بلاء (٧/ ٤٦) عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: «قلت يا رسول اللَّه: أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٣).

والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

قوله: «والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]».

الشرح: أي: الدليل على هذه المسائل الأربع التي يجب تعلمها على جميع المسلمين هذه السورة القصيرة التي يحفظها تقريبًا كل مسلم وهي سورة العصر.

﴿وَالْعَصْرِ﴾: الواو واو القسم، والعصر هو المقسم به، فالله ﷻ له الحكمة البالغة فيما خلق، وفيما شرع في أحكامه في قضائه وقدره حكيم يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد ولا يسأل عما يفعل، يقسم كثيرًا بمخلوقاته، ومع ذلك أرسل رسوله الأمين -عليه الصلاة والسلام- وبيَّن لنا أننا نحن العباد لا يجوز لنا أن نقسم إلا بالله، ولكن الله قد يقسم بمخلوقاته، وليس للعباد أن يقيسوا أنفسهم على رب العالمين فيقسمون ببعض المخلوقات، قائلين لأن الله أقسم بالعصر والليل والضحى، ونحن لماذا لانقسم؟ أنت عبد والعبد يقف عند أمر سيده فسيدك هو الله، أرسل إليك سيد الناس أجمعين محمدًا ﷺ فأخبرك أن العبد لا يقسم إلا بالله.

قال ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[2] إذ العبد ممنوع من أن يقسم بغير الله ولو كان أشرف المخلوقين محمدًا ﷺ، ولا يجوز للناس أن يقسموا برسول الله ﷺ ولا ببيت الله، ولا بأحد من خلق الله من الأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين والجمادات، كل ذلك لا يجوز، ولكن الله يقسم بما يشاء لحكمة يعلمها.

---

(١) [سورة العصر].

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم (٤/ ٢١٨)، ومسلم في الصحيح كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى (٣/ ١٢٦٧)، عن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت».

.....

الإقسام بالعصر هنا يشمل أمورًا :

١ - عصر النبوة عصر محمد ﷺ لأنه عصر ممتاز، عصرٌ أرسل اللَّه فيه خاتم النبيين بالرسالة العامة بينما كان الرسل يرسل كل رسول إلى قومه وبلسان قومه رسالة مؤقتة، ويعلم اللَّه متى تنتهي، فكل رسالة تنتهي إلى حد ولقوم محدودين ولكن الرسالة المحمدية جاءت رسالة عامه وباقية ما بقيت الدنيا ؛ إذن هذا العصر -عصر النبوة- عصر ممتاز أقسم اللَّه به ليبين مكانة هذا العصر.

٢ - ويشمل هذا العصر صلاة العصر ؛ لأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى على أصح القولين[1] ؛ إذ الصلاة الوسطى تمتاز على الصلوات الأخرى إذ يجتمع فيها الملائكة الذين ظلوا فينا، والملائكة الذين ينزلون ليبيتوا فينا [2]، وقد يحصل هذا المعنى في صلاة الصبح لذلك اختلف في الصلاة الوسطى، هل هي صلاة الصبح أو صلاة العصر؟ والذي يرجحه كثير من المحققين أنها صلاة العصر، فبناء على ذلك فإن العصر المراد به صلاة العصر.

٣ - أو ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ بمعنى الدهر ليشمل جميع العصور وللَّه حكمة في ذلك كله.

---

(١) ويرجح كونها أصح : ما أخرجه مسلم في الصحيح كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر (١/ ٤٣٧) عن علي ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ يوم الأحزاب : «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ اللَّه بيوتهم وقبورهم نارًا، ثم صلاها بين العشاءين، بين المغرب والعشاء».

وأخرج الترمذي في الجامع أبواب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الوسطى أنها العصر (١/ ٢٢٢) من حديث ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «صلاة الوسطى صلاة العصر»، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح، وصححه الإمام الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (١٥٢).

(٢) يشير الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المواقيت، باب فضل صلاة العصر (١/ ١٩)، ومسلم في الصحيح كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (١/ ٤٣٩)، عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال : «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون».

.....

أقسم اللَّه بالعصر سواءً كان بهذا المعنى أو ذاك أو غيرهما، إنَّ جنس الإنسان في خسارة وفي هلاك، فالإنسان يراد به الجنس ويخرج من هذا الجنس الأفراد الذين عصمهم اللَّه وهم الأنبياء.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ إلا الذين اتصفوا بهذه الصفات الآتية، صفة الإيمان، والإيمان يشمل: الإيمان باللَّه ليدخل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وهذا ضربٌ من ضروب إعجاز القرآن، لفظ وجيز، جملة شملت هذه المعاني كلها؛ إلا الذين آمنوا باللَّه، آمنوا بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، آمنوا بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ شملت المسألة الأولى بجميع ما ذكر الشيخ من معرفة اللَّه ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ شملت المسألة الثانية العمل به، العمل الصالح الخالص للَّه الموافق لهدي النبي -عليه الصلاة والسلام- يشمل أبواب العبادة، وأبواب الأحكام والأعمال كلها عمل صالح، حتى الاقتصاد والسياسة والأخلاق داخلة في العمل الصالح. ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

قال الشَّافعيُّ -رحمه اللَّه تعالى-: لو ما أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً على خَلْقِهِ إلا هذِهِ السُّورَةَ لكَفَتهُمْ.

قوله: «قال الشافعي[1] -رحمه اللَّه تعالى- (لو ما أنزل اللَّه حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم)[2]».

الشرح: وهذا يدل على دقة فهم الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ وسعة فقهه: «من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين»[3]، لكفتهم لأن الآية شملت أصول الدين وفروع الدين لم تترك شيئًا؛ شملت معرفة اللَّه ومعرفة دينه ومعرفة نبيه شملت كل ذلك، وشملت الأعمال، وشملت الدعوة وشملت الصبر في ذلك، لذلك فالآية لم تترك شيئًا؛ إذا وفق اللَّه العبد إلى فهمها وفهمها كما فهمها الإمام الشافعي وغيره، وكما فهمها هذا الإمام الذي استنتج منها هذه المعاني التي ذكرها قبل السورة؛ التي أخذها من السورة ثم ساقها، إذن فهو على خير عظيم.

---

(١) هو الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي، ويجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف، ولد بغزة سنة (١٥٠هـ) وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٠٤ هـ). انظر: توالي التأنيس لمعالي محمد بن إدريس للحافظ ابن حجر.

(٢) قال الحافظ ابن كثير: قال الإمام الشافعي -رحمه اللَّه تعالى-: «لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم»، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة العصر (٨/ ٣٨٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين (١/ ٤٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة (٢/ ٧١٨)، عن حميد بن عبد الرحمن قال: سمعت معاوية ابن أبي سفيان وهو يخطب يقول: إني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من يرد اللَّه به خيرًا يفقهه في الدين...» الحديث.

وقال البُخَاريُّ-رحمه اللَّه تعالى-: «(بابٌ): العِلْمُ قَبْلَ القولِ والعَمَل».

قوله: «وقال البُخَاريُّ[1]-رحمه اللَّه تعالى-: (بابٌ): العِلْمُ قَبْلَ القولِ والعَمَلِ»[2]

الشرح: البدء بالعلم قبل القول والعمل هذا دليل على مكانة العلم وأن العابد لا يجوز له أن يبدأ بالعبادة إلا بعد العلم، وأن الواعظ والمعلم والمرشد لا يجوز له أن يتصدى لذلك قبل العلم، أي: يجب أن يدعو الناس إلى ما يعلم وينصح الناس بما يعلم، ويعلم الناس ما يعلم، وما لم يعلم يعتذر يقول: اللَّه أعلم.

أما العابد الذي يريد أن يعبد اللَّه على جهل معرضًا عن العلم في زعمه ملازمًا للصفوف الأُوَل ومبكرًا إلى المساجد ومعرضًا عن العلم هذا قد استولى عليه الشيطان وأبعده عن العلم، يجب أن ينصح، بعض الذين يجتهدون في العبادة وينقطعون إلى العبادة معرضين عن التعلم وجامدين على ما عندهم ومقدسين لأنفسهم والمخدوعين المغرورين بعبادتهم على جهل.

أقول هذا القول ليسمع بعض الصالحين العباد الذين هم على جانب كبير من الجهل، وربما بعض الزوار وبعض الغرباء عندما يرونهم في الصفوف الأول يحسبونهم من طلاب العلم ويسألونهم أسئلة فيجيبون على جهل، قد يستحي أن يقول لا يعلم ولكنه يفتي بجهل فيَضل ويُضِل.

فننصح إخواننا العبَّاد أن يخصصوا أوقاتًا لطلب العلم وأوقاتًا للعبادة إذا يسر اللَّه أمرهم فتفرغوا للعبادة وليس هناك ما يشغلهم فليقسموا أوقاتهم بين العبادة وبين طلب العلم فليركزوا على طلب العلم؛ فليعلموا أن تعلم العلم الديني عقيدةً وأحكامًا وخصوصًا في العبادة من العبادة، طلب العلم من العبادة، العلم الشرعي طلبه من

---

(١) هو الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبه البخاري ولد سنة (١٩٤هـ) وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٢٥٦هـ). انظر: «سيرة الإمام البخاري» للشيخ عبد السلام المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) في صحيحه كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل لقول اللَّه تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فبدأ بالعلم (١/ ٤١).

والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

العبادة، العبادة أنواع ليست العبادة مجرد الصلاة، وليست العبادة مجرد اتباع الجنازة وليست العبادة مجرد لزوم الصف الأول؛ العبادة أنواع نوّع عبادتك، وابدأ بالأهم، الأهم العلم اطلب العلم هو الذي يصحح لك العبادة ويجعلك تتذوق العبادة وتحس للعبادة ذوقًا، وإلا سوف لن تنفعك عبادتك[1].

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[2] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل».

الشرح: [فبدأ بالعلم لقوله فاعلم، واستغفر لذنبك: فهكذا هم أهل العلم يقررون مسألة أو يصدرون حكمًا ثم يبينون ذلك بالاستدلال عليه بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ ويقيدون كلامهم بكلام السلف -رضوان اللَّه عليهم-، ليبينوا أنهم فهموا كما فهم السلف][3].

قوله: «اعلمْ رحمك اللَّهُ أنَّه يجبُ على كل مسلمٍ ومسلمةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ المسائِل الثلاث

---

(١) أخرج أبو داود في سننه كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٤/ ٣٩)، والترمذي في الجامع أبواب العلم عن رسول اللَّه ﷺ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٤/ ٤١٤)، وابن ماجه في سننه المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٢١٣)، عن كثير بن قيس قال: كنت جالسًا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء إني جئتك من مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول اللَّه ﷺ ما جئت لحاجة، قال: فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك اللَّه به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ورثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر». وصححه الإمام الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢١٥٩).
وروى الإمام أحمد في الزهد (ص١١٣) رقم (٧٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١) عن أبي الدّرداء أنه قال: «يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم، كيف يغبنون سهر الحمقى وصومهم، ولمثقال ذرة مع برٍّ ويقين أعظم عند اللَّه من أمثال الجبال عبادةً من المغترين».

(٢) [سورة محمد: ١٩].

(٣) هذا من (ب).

اعلمْ رحمك اللَّهُ أنَّه يجبُ على كل مسلمٍ ومسلمةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ المسائِل الثلاث والعملُ بِهِنَّ:

(الأُولى): أَنَّ اللَّهَ خَلقَنا ورَزَقَنا ولم يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بلْ أَرْسَلَ إلينا رسولًا، فمنْ أَطَاعَهُ دخل الجنةَ، ومَن عَصَاهُ دخل النارَ.

والعملُ بِهِنَّ، . . . . ».

الشرح: اعلم رحمك اللَّه، هكذا أسلوب الشيخ وأسلوب الأولين، هذا الخطاب يقال موجه إلى كل من تتأتى منه المعرفة والعلم، أي: اعلم يا طالب العلم يا من يتأتى منه العلم والمعرفة، اعلم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه المسائل الثلاث، [ولا فرق بين المسلم والمسلمة في تعلم العلم الذي هو فرض عين، لأن العلم منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، والنوع الأول يجب على كل فرد ذكرًا كان أو أنثى يجب عليه أن يتعلمه، ومنه ما نحن بصدده الآن وهي الأصول الثلاثة][1].

قوله: «الأُولى: أَنَّ اللَّهَ خَلقَنا ورَزَقَنا ولم يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بلْ أَرْسَلَ إلينا رسولًا».

الشرح: هذه المسألة تعتبر قاعدة؛ وهذه المسائل في الواقع بمثابة القواعد، فيها معرفة توحيد الربوبية -توحيد العلم والمعرفة-، معرفة العبد بأن اللَّه هو الذي خلقه وحده وهو الذي رزقه وحده ثم لم يتركه كالبهائم البهم تأكل من رزقه فقط؛ بل شرف اللَّه هذا الإنسان بأن أرسل إليه رسولًا؛ هذا الرسول من بني جنسه لم يكن ملكًا أو جنيًّا لئلَّا يستوحش منه، بل بشرًا ولكن بشرًا اصطفاه اللَّه واختاره، ورباه تربية خاصة، وأدبه فأحسن تأديبه، وهيأه لهذه الرسالة العظيمة العامة، فأرسل إلينا رسولًا؛ هذا الرسول ﷺ جاء ليدعو الناس إلى اللَّه، هذه وظيفته، بشيرًا ونذيرًا.

قوله: «فَمَنْ أَطَاعَهُ دخل الجنةَ».

الشرح: من أطاعه دخل الجنة، إما من أول وهلة بدون عذاب أو عقاب كالسبعين ألفًا[2] الذين تعرفونهم، أو دخل الجنة بعد أن استوجب النار دخل الجنة بشفاعة

---

(١) هذا من (أ).

رسول اللَّه ﷺ؛ أو تساوت حسناته وسيئاته فأمر به إلى النار فيشفع فيه رسول اللَّه ﷺ فيدخل الجنة؛ هؤلاء دخلوا الجنة قبل دخول النار، أو قد يدخلون النار ولكن نار تطهير، ومآله إلى الجنة بشفاعة النبي ﷺ أو شفاعة الشافعين الآخرين أو بمحض رحمة أرحم الراحمين، ولكن مآله إلى الجنة هذا من أطاع النبي ﷺ إنما يتفاوتون هذا التفاوت على حسب طاعتهم لرسول اللَّه ﷺ وعلى حسب محبتهم الصادقة لرسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، لأن الناس تتفاوت في محبة اللَّه، وفي محبة رسول اللَّه ﷺ، وفي طاعة اللَّه، وطاعة رسوله ﷺ، وكلهم من أولياء اللَّه ولكنهم درجات لأن المؤمن ولي، والأولياء درجات، يظهر لكم من هذا أن من أطاع الرسول ﷺ يختلفون في صفة طاعتهم وفي مبلغ طاعتهم لذلك يختلفون في دخول الجنة.

قوله: «ومن عصاه دخل النار».

الشرح: [لأن معصية النبي ﷺ من معصية اللَّه -تبارك وتعالى-، لذلك قال النبي ﷺ: «كلكم تدخلون الجنة إلا من أبى! قالوا: ومن يأبى يا رسول اللَّه؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[(١)]، وعصيان رسول اللَّه ﷺ إباءٌ لدخول الجنة][(٢)]، ومن عصاه دخل النار إما خالدًا مخلدًا كأن كان عصيانه بالكفر والشرك الأكبر والنفاق

(١) يشير الشيخ إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (٤/ ١٩٩)، ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (١/ ١٩٩) عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «عرضت علي الأمم فأجد النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب. قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع اللَّه أن يجعلني منهم. قال: اللَّهم اجعله منهم، ثم قام إليه رجل آخر قال: ادع اللَّه أن يجعلني منهم. قال: سبقك بها عكاشة». واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الاعتصام بالسنة، باب الاقتداء بسنن رسول اللَّه ﷺ (٤/ ٣٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) هذا من (ج).

والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولَ ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾.

(الثانيةُ): أَنَّ اللَّه لا يَرْضى أَنْ يُشْرَك معه أَحَدٌ في عِبَادَتِه لاَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَل.

الاعتقادي، أو دخل النار، نارَ تطهير كأن كان عصيانه بما دون الكفر والشرك كما تقدم.

قوله: «والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا﴾ . . . . الآية»[1] . .

الشرح: والدليل على هذه المسألة العظيمة قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولَ ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ هذا الرسول المعرف هو الرسول السابق والنكرة إذا تكررت فالثانية غير الأولى ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾، هذا الرسول غير الرسول الأول، الرسول الأول هو محمد ﷺ والثاني موسى عليه السلام؛ ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾ الرسول الثالث هو عين الرسول الثاني لأنه جاء معرفًا أي الرسول المعهود المعروف الذي أرسل إلى فرعون السابق الذكر؛ ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ أخذنا فرعون لما عصى الرسول أخذًا وبيلًا، وكذلك أنتم إن عصيتم الرسول ﷺ تؤخذون وتعذبون على اختلاف في التعذيب في الدنيا وفي الآخرة.

قوله: «الثانيةُ: أَنَّ اللَّه لا يَرْضى أَنْ يُشْرَك معه أَحَدٌ في عِبَادَتِه لاَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ».

الشرح: إذا كان اللَّه لا يرضى أن يكون شريكه في العبادة ملكٌ، جبرائيل مثلًا! لا يرضى أن يدعى جبرائيل، ويستغاث بجبرائيل، ويذبح تقربًا إلى جبرائيل، وكذلك محمد ﷺ، فما بال غيرهما؟ أي في باب الإشراك لا فرق بين أن يُشرِك به إنسانًا صالحًا، أو طالحًا، أو ملكًا، أو نبيًا، أو جنيًا، أو إنسيًا، أو شيطانًا، أو حجرًا، أو شجرًا، المعنى واحد؛ لا فرق بين هذه الشركيات، لأن العبادة حق محض للَّه تعالى لا يستحقها أحد.

---

(١) [المزمل ١٥-١٦]

.....

هذه من المعاني التي تغيرت كثيرًا وجددها بعض المجددين[1]، لأنه جهل كثير من الناس ولا يزالون يجهلون في بعض الأقطار التفريق بين حق اللَّه ﷻ وحق رسوله ﷺ وحقوق الصالحين، يخلطون؛ لا يعرفون ما هو حق اللَّه على العباد، وما هو الواجب بالنسبة للرسول ﷺ على المؤمنين؟ وما هو الواجب على المؤمنين نحو صالحي عباد اللَّه؛ صالحي المؤمنين؟

هذه من المعاني التي تغيرت، والتي يجب على طلاب العلم اليوم أن يقوموا بدور التجديد والإصلاح حيثما كانوا، ودعوتنا اليوم في الغالب دعوة تصحيح، تصحيح هذه الأخطاء، تصحيح العقيدة، وتصحيح العبادة، وليس معنى قولنا: ندعو إلى اللَّه أن غيرنا من الناس غير مسلمين، وأننا ندخلهم في الإسلام من جديد، لا؛ هذا تصور خاطئ، هم مسلمون، ولكن مسلمون دخلت عليهم بعض الأخطاء في عقيدتهم، وفي عبادتهم، وفي أحكامهم ومعاملاتهم واقتصادهم وسياساتهم، هذا هو الواقع.

وإن كان لا يمنع هذا أن يقوم الدعاة بدعوة التأسيس في غير المسلمين الذين وفدوا على هذه البلاد باسم العمال، وهم كثر في كثير من المناطق يعيشون بين المسلمين، ومما يظهر أنهم ربما فهم بعضهم بحياتهم بين المسلمين بعض محاسن الإسلام، لذلك نراهم يعتنقون الإسلام كثيرًا، فهذه الدعوة دعوة تأسيسية، والدعوة الأولى دعوة تصحيحية وعلينا أن نعمل في المجالين.

---

(١) أخرج أبو داود في السنن كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة (٤/ ٣١٣) عن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّه يبعث إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، وصححه الإمام المجدد الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٥٩٩).

والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾»[1].

الشرح: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ لفظة: ﴿أَحَدًا﴾ يقال: نكرة واقعة في سياق النفي أو في سياق النهي، المعنى واحد، النكرة إن وقعت في سياق النفي أو في سياق الاستفهام الإنكاري تفيد العموم، أي: فلا تدعوا مع اللَّه أحدًا كائنًا من كان؛ فلا تستغث بأحد غير اللَّه كائنًا من كان، بنبي أو بملك أو رجل صالح؛ هؤلاء عباد اللَّه كلهم يرجون رحمة اللَّه فلا يستغاث بهم، ولا يدعون، ولا يذبح لهم ولا ينذر لهم، ولكنهم يحبون في اللَّه، الصالحون نحبهم في اللَّه من الأنبياء ومن بعدهم نتقرب إلى اللَّه بمحبتهم، لأن محبتهم عمل صالح، يتقرب بها العبد إلى اللَّه، المحبة شيء ودعوتهم والاستغاثة بهم والذبح لهم شيء آخر مغاير تمامًا، حبهم في اللَّه طاعة، وحبهم مع اللَّه شرك، فرق بين الحب في اللَّه وبين الحب مع اللَّه، إذا أحببت الصالحين في اللَّه لأجل اللَّه؛ ما أحببته إلا لكونه صالحًا تقيًّا ملتزمًا متمسكًا بدينه، هذا عمل صالح تتقرب به إلى اللَّه، ولكن إن غلوت فيه غلوًّا وأحببته مع اللَّه، وتعامله معاملة الخالق؛ تدعوه، وتستغيث به، وتجهر باسمه، كما تقول: يا أللَّه، تقول: يا فلان، هذا هو الحب مع اللَّه وهذا من أكبر الشرك.

---

(١) [سورة الجن: ١٨].

(الثالثةُ): أنَّ من أَطَاعَ الرسولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لا يجوز له مُوَالاَةُ مَن حادَّ اللَّه ورسوله ولو كان أقرب قريب.

قوله: «الثالثةُ: أنَّ من أَطَاعَ الرسولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ لا يجوز له مُوَالاَةُ مَن حاد اللَّه ورسوله ولو كان أقرب قريب».

الشرح: [وهذه المسألة هي مسألة الولاء والبراء وهو أصل مهم جدًّا، وهو أن تحب في اللَّه وتبغض في اللَّه، وأن تحب للَّه وتحب من يحبه اللَّه، وتحب ما يحب اللَّه، كما قال ابن القيم[1]: حقيقة تحقيق التوحيد: اتحاد مراد المحب مع مراد المحبوب، أي: اتحاد مراد العبد مع مراد خالقه ومولاه، أي العمل بمرضاة اللَّه، والمراد بالإرادة هنا هي الإرادة الشرعية الدينية وليست الإرادة الكونية القدرية، فلا يعمل العبد إلا بطاعة اللَّه، وهذا هو تحقيق التوحيد][2].

أي: من ادعى أنه موحد، وأنه مطيع لرسول اللَّه ﷺ إن صحت هذه الدعوى سوف تمنعه من أن يحب من كان عدوًّا للَّه، ومن يشاقق اللَّه، ومن يخالف أوامر اللَّه، ويخالف رسول اللَّه ﷺ، ولو كان أقرب قريب ولو كان والده أو ولده؛ فإن كان صادقًا في دعوى الإيمان باللَّه وبرسوله -عليه الصلاة والسلام- ورأى أقرب قريب محادًّا ومشاقًّا للَّه ولرسوله -عليه الصلاة والسلام-، ويحارب رسول اللَّه ﷺ، ويحارب دين اللَّه معاندًا كافرًا يجب أن يتبرأ منه، كما حصل ذلك لجماعة من الصحابة.

---

(١) هو الإمام المحقق الحافظ الأصولي الفقيه النحوي شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المشهور بـ: ابن قيم الجوزية، ولد سنة (٦٩١هـ) وتوفي سنة (٧٥١ هـ)- رحمه اللَّه تعالى رحمة واسعة-. انظر كتاب: «ابن قيم الجوزية حياته وآثاره وموارده» للشيخ بكر أبو زيد- حفظه اللَّه-.

(٢) هذا من (أ).

والدليلُ قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.. الآية»[1].

الشرح: في هذه النقطة يجب أن نتريث ونفهم الحقائق لكي لا يتعجل بعض الشباب.

نقول: إن الكفار قسمان:

١- قسم يقال له: **الكافر الحربي**: الذي العلاقة بيننا وبينهم الحرب، وليس بيننا وبينهم أي علاقة، إلا العداوة والحرب هؤلاء يجب قتالهم، ولا تجوز موالاتهم، بل لا تجوز مجاملتهم ومداراتهم؛ لأنه كافر حربي، إلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[2]، هؤلاء الكفار الحربيون.

٢- وقسم كافر غير حربي (ذمي): الكافر الذمي لا يجوز قتله، ويجامَل ويُدارَى[3]، ولا يُداهَن[4]، ويعامل في المعاملة الدنيوية نبيع معه ونشتري، نقرضه ونستقرض منه، ونشتري منهم الأسلحة، ونبيع لهم ما لدينا من السلعة، طالما هو غير محارب لنا، إذا كان ذميًّا وفي حكم الذمي المستأمن، ومن بيننا وبينهم الهدنة في أيام الهدنة يعاملون هذه المعاملة.

---

(١) [سورة المجادلة: ٢١].

(٢) [سورة المائدة: ٥١].

(٣) المداراة: هي التلطف مع الغير لاستخراج الحق منه أو ردّه عن الباطل. التعريفات الاعتقادية (٢٩١).

(٤) المداهنة: هي التلطف مع الغير ليقره على باطله ويتركه على هواه. التعريفات الاعتقادية (٢٩٢).

.....

ولكن الذي يجب أن يفهمه الطلاب: الفرق بين المعاملة وبين الموالاة، فالموالاة هي المحبة القلبية، لا يجوز لك أن تحب الكافر وتوده كائنًا من كان، لأنه تحرم مودتهم ومحبتهم ونصرتهم، ولكن إذا كان غير حربي لا تحرم معاملتهم ومداراتهم ومجاملتهم، وإذا كنا نحس أن بعض الكفار في حكم الحربيين ليسوا بحربيين فعلًا ولكنه في حكم الحربي؛ لأنه ظهير للكافر الحربي الذي بيننا وبينه الحرب، ظهيرٌ له ومعينٌ له إن كنا قادرين على محاربته حاربناه وإلا نأخذ في الاستعداد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾[1].

أما كوننا ندخل معهم في الحرب ونحن غير معدين وغير مستعدين للقتال معهم، هذه ليست بشجاعة، هذا تهور، لابد من الاستعداد قبل الحرب معهم، وهذا موقف المسلمين اليوم مع الدول الكبرى كما يسمون، وهم إما حربيون أو في حكم الحربيين، ولكن المسلمين عاجزون عن مقاومتهم وعن محاربتهم، لأنهم لم يُعدوا أنفسهم بعد، فعلى المسلمين أن يعدوا أنفسهم بمصانع حربية كمصانعهم حتى يكونوا قوةً قادرةً على حربهم، وأما أن نقف عند مصانع الكبريت، ومصانع المكرونة، ، لسنا بعاجزين ماديًا ولا من حيث الرجال ولكن يسمى عجزنا عجز القادرين على التمام:

ولم أر في الخلق عيبًا كعجز القادرين على التمام[2]

هذا هو عجزنا، قبل أن نعد أنفسنا فلنقف عند حدنا وإلا يستبيحون بيضتنا، ولكن نعد أنفسنا إعدادًا من جديد.

الشاهد: يجب أن نفرق بين موقفنا بين الكافر الحربي وبين الذمي، والذمي[3] غير موجود اليوم، وبين المستأمن والمعاهد وصاحب الهدنة، هؤلاء كلهم يعاملون معاملة

---

(١) [سورة الأنفال: ٦٠].

(٢) وهذا معنى بيت لأبي الطيب المتنبي، انظر ديوانه مع شرحه لمصطفى سبيتي (٢/ ٢٤٧):

ولم أر في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمام

(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل الذمة صار في اصطلاح كثير من الفقهاء أنهم عبارة عمن يؤدون الجزية وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم اللَّه ورسوله إذا هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم اللَّه ورسوله». أحكام أهل الذمة (٢/ ٤٧٥).

والدليلُ قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.. الآية»[1].

الشرح: في هذه النقطة يجب أن نتريث ونفهم الحقائق لكي لا يتعجل بعض الشباب.

نقول: إن الكفار قسمان:

١- قسم يقال له: **الكافر الحربي**: الذي العلاقة بيننا وبينهم الحرب، وليس بيننا وبينهم أي علاقة، إلا العداوة والحرب هؤلاء يجب قتالهم، ولا تجوز موالاتهم، بل لا تجوز مجاملتهم ومداراتهم؛ لأنه كافر حربي، إلى ذلك تشير الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[2]، هؤلاء الكفار الحربيون.

٢- وقسم **كافر غير حربي (ذمي)**: الكافر الذمي لا يجوز قتله، ويجامَل ويُدارَى[3]، ولا يُداهَن[4]، ويعامل في المعاملة الدنيوية نبيع معه ونشتري، نقرضه ونستقرض منه، ونشتري منهم الأسلحة، ونبيع لهم ما لدينا من السلعة، طالما هو غير محارب لنا، إذا كان ذميًّا وفي حكم الذمي المستأمن، ومن بيننا وبينهم الهدنة في أيام الهدنة يعاملون هذه المعاملة.

---

(١) [سورة المجادلة: ٢١].

(٢) [سورة المائدة: ٥١].

(٣) المداراة: هي التلطف مع الغير لاستخراج الحق منه أو ردِّه عن الباطل. التعريفات الاعتقادية (٢٩١).

(٤) المداهنة: هي التلطف مع الغير ليقره على باطله ويتركه على هواه. التعريفات الاعتقادية (٢٩٢).

.....

ولكن الذي يجب أن يفهمه الطلاب: الفرق بين المعاملة وبين الموالاة، فالموالاة هي المحبة القلبية، لا يجوز لك أن تحب الكافر وتوده كائنًا من كان، لأنه تحرم مودتهم ومحبتهم ونصرتهم، ولكن إذا كان غير حربي لا تحرم معاملتهم ومداراتهم ومجاملتهم، وإذا كنا نحس أن بعض الكفار في حكم الحربيين ليسوا بحربيين فعلًا ولكنه في حكم الحربي؛ لأنه ظهير للكافر الحربي الذي بيننا وبينه الحرب، ظهيرٌ له ومعينٌ له إن كنا قادرين على محاربته حاربناه وإلا نأخذ في الاستعداد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم﴾[1].

أما كوننا ندخل معهم في الحرب ونحن غير معدين وغير مستعدين للقتال معهم، هذه ليست بشجاعة، هذا تهور، لابد من الاستعداد قبل الحرب معهم، وهذا موقف المسلمين اليوم مع الدول الكبرى كما يسمون، وهم إما حربيون أو في حكم الحربيين، ولكن المسلمين عاجزون عن مقاومتهم وعن محاربتهم، لأنهم لم يُعدوا أنفسهم بعد، فعلى المسلمين أن يعدوا أنفسهم بمصانع حربية كمصانعهم حتى يكونوا قوةً قادرةً على حربهم، وأما أن نقف عند مصانع الكبريت، ومصانع المكرونة، ، لسنا بعاجزين ماديًا ولا من حيث الرجال ولكن يسمى عجزنا عجز القادرين على التمام:

ولم أر في الخلق عيبًا كعجز القادرين على التمام[2]

هذا هو عجزنا، قبل أن نعد أنفسنا فلنقف عند حدنا وإلا يستبيحون بيضتنا، ولكن نعد أنفسنا إعدادًا من جديد.

الشاهد: يجب أن نفرق بين موقفنا بين الكافر الحربي وبين الذمي، والذمي[3] غير موجود اليوم، وبين المستأمن والمعاهد وصاحب الهدنة، هؤلاء كلهم يعاملون معاملة

(١) [سورة الأنفال: ٦٠].

(٢) وهذا معنى بيت لأبي الطيب المتنبي، انظر ديوانه مع شرحه لمصطفى سبيتي (٢/ ٢٤٧):

ولم أر في عيوب الناس شيئًا كنقص القادرين على التمام

(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل الذمة صار في اصطلاح كثير من الفقهاء أنهم عبارة عمن يؤدون الجزية وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم اللَّه ورسوله إذا هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم اللَّه ورسوله». أحكام أهل الذمة (٢/ ٤٧٥).

.....

خاصة، ولكن من حيث المودة والمحبة؛ كلهم على حد سواء، لا تجوز موادة ومحبة وموالاة الكفار، ولو كان أحد الوالدين أو كليهما لذلك علمنا ربنا ﷻ كيف نعامل الوالدين الكافرين، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[1].

إذا كان الوالدان لا يطاعان إذا دَعَيَا الولد إلى الشرك وإلى الكفر، وإلى معصية اللَّه ورسوله، ولكن لا يمنع ذلك مصاحبتهما بالمعروف ومصانعتهما، والإحسان إليهما، ومن برهما، لعل ذلك يكون سببًا لدخولهما في الإسلام، [وفي هذه الآية إثبات صفة الرضا للَّه -تبارك وتعالى-، وأن اللَّه يرضى ويحب، وهذا خلافًا للنفاة الذين نفوا الصفات، مثل الرضا، والمحبة، والرحمة، وغير ذلك من الصفات الفعلية الخبرية عن اللَّه ﷻ، أو الذين أوّلوها ولا يثبتونها على ظاهرها كما أثبتها اللَّه لنفسه أو أثبتها له رسوله ﷺ، وهذا هو طريق أهل السنة والجماعة][2].

(١) [سورة لقمان: ١٥].

(٢) هذا من (ب).

اعلم أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الحنيفيَّةَ مِلَّة إبراهيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وبذلك أمَرَ اللَّهُ جميع الناسِ وخَلَقَهُمْ لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

قوله: «اعلم - أرشدك اللَّه لطاعته - أَنَّ الحنيفيَّةَ مِلَّة إبراهيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ».

الشرح: اعلم أرشدك اللَّه، [وهذا دعاء لطلاب العلم فيه الرحمة والشفقة بطلبة العلم][1] اعلم يا طالب العلم، يا من يتأتى منه العلم، اعلم أرشدك اللَّه لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم، «ملة إبراهيم» إما بدل، أو عطف بيان من الحنيفية، كأنك تقول: إن الحنيفية يعني ملة إبراهيم، أو التي هي ملة إبراهيم، أن تعبد اللَّه وحده مخلصًا له الدين أي مخلصًا له العبادة، هذه هي ملة إبراهيم، وملة من جاء من بعده من الرسل من أولاده، لأنه أبو الأنبياء.

قوله: «وبذلك أمَرَ اللَّهُ جميع الناسِ وخَلَقَهُمْ لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]».

الشرح: وبذلك أمر اللَّه جميع الناس، والآية التي يستدل بها المؤلف على هذا الحكم قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لابد من التوفيق بين المدلول والمدلول عليه، المدلول عليه هو هذا الحكم، (أمر اللَّه جميع الناس) بينما الآية تدل على أن اللَّه خلق الجن والأنس جميعًا لعبادته؛ إذن كان الأولى أن تكون العبارة هكذا ليتفق الدليل والمدلول عليه: (وبذلك أمر اللَّه الجن والإنس وخلقهم لها)، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ خلق اللَّه الثقلين لعبادته، ليوحدوه وليعرفوه، ويعبدوه وحده.

وفسر معنى يعبدون بـ: (يوحدون)، وهذا معنى من المعاني، وعند أهل العلم عدة

---

(١) هذا من (ب).

(٢) [سورة الذاريات: ٥٦].

ومعنى «يعبدون»: يوحِّدون، وأعظمُ ما أَمرَ اللَّهُ به التوحيدَ وهو: إفرادُ اللَّهِ بالعبادة وأعظمُ ما نهى عنه الشركُ: وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾.

تفاسير ليعبدون (ليعرفون) (ليخلصوا لي العبادة) ولكن كلمة (يوحدون) أشمل، ولذلك لعل المؤلف اختار هذا التفسير.

قوله: «ومعنى يعبدون: يوحدون، وأعظم ما أمر اللَّه به التوحيد».

الشرح: قال وأعظم ما أمر اللَّه به التوحيد، اللَّه ﷻ أمر بأوامر كثيرة، وأعظمها إفراد اللَّه سبحانه تعالى بالعبادة، وفسر التوحيد بإفراد اللَّه ﷻ بالعبادة، وزد على ذلك إثبات ما أثبت اللَّه لنفسه من الصفات، وما أثبت له رسوله ﷺ، وتنزيه اللَّه عن النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات، كل ذلك مما جاء به رسول اللَّه ﷺ واشتمل عليه الكتاب والسنة، وأما توحيد الربوبية كما سيأتي؛ إنما يذكر ليستدل به على توحيد العبادة أي أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد العبادة، لذلك يذكر من باب الاستدلال به على توحيد العبادة، وتوحيد العبادة يتضمن توحيد الربوبية.

قوله: «وأعظمُ ما نهى عنه الشركُ؛ وهو دعوةُ غيرِهِ معهُ والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾[1]».

الشرح: «وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه» هل الشرك دعوة غيره معه، أو أعم من الدعوة؟ الشرك أعم من الدعوة، والدعاء نوع معين من أنواع العبادة، إذن لو قال: وعبادة غيره معه. لكان أولى وأشمل، ليشمل الدعاء وغير الدعاء؛ كالذبح والنذر وغير ذلك، بدليل الآية التي استدل بها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ في عبادته، في الدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل والرهبة والرغبة وغير ذلك من أنواع العبادة، هذا تفصيل جزئي.

[ولفظة (شيئًا) نكرة وقعت في سياق النفي، والنكرة إذا وقعت في سياق النفي أو

---

(١) [سورة النساء: ٣٦].

فإذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثلاثةُ التي يجبُ على الإنسانِ معرفتُها؟

فقُلْ: معرِفةُ العبدِ رَبَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ ﷺ.

فإذا قيلَ لكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فقلْ: ربيَّ اللَّهُ الذي ربّاني ورَبَّى جميعَ العالمينَ بنعمِتِهِ.

النهي أو الاستفهام الإنكاري تفيد العموم المطلق، بمعنى أي شيء كان من ملائكة وأنبياء وصالحين وأشجار وأحجار وغير ذلك، أي: واعبدوا اللَّه ولا تشركوا به شيئًا في عبادته كائنًا من كان](١).

قوله: «فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟».

الشرح: ثم أراد الشيخ أن يفصل كل ما تقدم فقال: فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة؟

الأصول: جمع أصل، والأصل ما يُبنى عليه غيره؛ فجميع واجبات الدين تنبني على هذه الأصول الثلاثة من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك، كلها تنبني وترجع إلى هذه الأصول الثلاثة، فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها والتي سبق تفصيلها.

قوله: «فقُلْ: معرِفةُ العبدِ رَبَّهُ، ودينَهُ، ونبيَّهُ محمدًا ﷺ».

الشرح: فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا ﷺ (فقد سبق تفصيلها راجع ما تقدم)(٢).

قوله: «فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي اللَّه الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه».

الشرح: فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل: ربي اللَّه الذي أعبده، هو ربي لأنه لا يستحق العبادة إلا الرب، أي إلا الخالق المربي، ربي اللَّه الذي رباني وربى جميع العالمين،

---

(١) هذا من (ج).

(٢) انظر الصفحات رقم (٢٠- ٢٣).

وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواهُ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وكلُّ ما سِوَى اللَّهِ عالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ.

وبذلك استحق العبادة، أما الذي لا يخلق ولا يرزق ولا يربي لا يستحق العبادة، فعبادته ظلم.

«وربى جميع العالمين بنعمته» النعمة إذا أضيفت تشمل، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾[1]، أي بنعم اللَّه، ربى جميع العالمين بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، نعمة الإيجاد، نعمة الهداية، نعمة الإسلام، نعمة الإيمان، ونعمة الحفظ، ونعمة الأمن والأمان وغير ذلك.

قوله: «وهو معبودي ليس لي معبودٌ سواه».

الشرح: الأنسب هنا أن تكون فاء الفصيحة» (فهو إذن معبودي)، إذا كان هو الذي خلقني ورباني وربى جميع العالمين بنعمه فهو معبودي ليس لي معبود سواه، فهو وحده معبودي، تعريف جزئي الإسناد يدل على الحصر فـ(هو) المبتدأ معرفة، معبودي الخبر معرفة لأنها مضاف إلى ياء المتكلم فهو معبودي، فهو وحده معبودي، لا أعبد إلا إياه، ولذلك فالجملة الثانية تعتبر جملة تفسيرية «ليس لي معبودٌ سواه»، ومن عبد غير الرب الخالق المربي للعالمين بنعمه فقد ظلم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها، والظلم وضع الشيء في غير موضعه.

قوله: «والدليلُ قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2] وكلُّ ما سِوَى اللَّهِ عالَمٌ وأنا واحدٌ من ذلكَ العالَمِ».

الشرح: والدليل على كل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خالق العالمين ومربي العالمين، والعالم هو كل ما سوى اللَّه، وأنا واحد من ذلك العالم، فاللَّه ﷻ هو الذي يستحق العبادة وحده؛ لأنه هو المُنْعِم المتفضل على العالم.

---

(١) [سورة النحل: ١٨].

(٢) [سورة الفاتحة: ٢].

فإذَا قيلَ لكَ: بما عرفْتَ ربَّك؟

فقُل: بآياتِه ومخلوقاتِه؛ ومِنْ آياتِه الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ، ومِنْ مخلوقاتِه السمواتُ السَّبْعُ والأرضون السَّبع ومَنْ فيهنَّ وما بينهما.

قوله: «فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع، والأرضون السبع، ومن فيهن وما بينهما».

الشرح: ما الدليل وما هي العلامات وما هي الآيات التي عرفت بها ربك؟ لأن اللَّه ﷻ احتجب في هذه الدنيا لا يُرى، قال النبي ﷺ: «**فإنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»[1]، إذن الإيمان باللَّه تعالى من الإيمان بالغيب لأنه غائب عن نظرك ورؤيتك، وإن كان شاهدًا معك لا يغيب عنك بعلمه وسمعه وبصره فهو معك، وهذه معية خاصة أو معية معنوية غير حسية، لكن حسًّا فهو غائب عنك، لذلك الإيمان باللَّه من الإيمان بالغيب يحتاج إلى علامة وأدلة تدل على وجود اللَّه تعالى ما هي؟

قال: «**فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته**»، [تطلق الآيات ويراد بها ثلاث إطلاقات: تطلق ويراد بها الآية المتلوة (القرآن)، وتطلق الآية ويراد بها الآيات الكونية فهذا الكون كله آية، وتطلق الآية ويراد بها معجزات الأنبياء، والمراد بالآيات هنا الآيات الكونية المخلوقة، وقد تشمل الآيات المخلوقة والآيات المتلوة، ومن هنا عطف الآيات على المخلوقات عطف مترادف كالجلوس والقعود][2].

قال: بآياته ومخلوقاته، عطف الخاص على العام، فمن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، هذه آيات مخلوقة، أي: علامات؛ علامات على وجود الرب ﷻ،

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن، باب ذكر ابن الصياد (٤/ ٢٢٤٥) قال ابن شهاب: أخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول اللَّه ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم حذر الناس الدجال: «إنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله أو يقرؤه كل مؤمن، وقال: تعلّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ﷻ حتى يموت».

(٢) هذا من (ج).

والدليلُ قولُه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

وقدرته وإرادته وعلمه وعزته وسمعه وبصره، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع، هذه مخلوقات وفي الوقت نفسه آيات، لا فرق بين هذه الآيات والتي قبلها ومن فيهن وما بينهما.

قوله: «والدليلُ قولُه تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾[1]، وقولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الآية»[2].

الشرح: ومن آياته الدالة عليه: ﴿ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ لأنهن من المخلوقات ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾، هو الذي يستحق السجود ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ الآية.

هذه الآية أول آية من الآيات السبع التي تدل على استواء اللَّه على عرشه؛ وهذه الآية في سورة الأعراف والثانية في سورة يونس، والثالثة في سورة الرعد، والرابعة في سورة طه، والخامسة في سورة الفرقان، والسادسة في سورة السجدة، والسابعة في سورة الحديد، الآيات السبع في هذه السور السبع هي التي تدل على استواء اللَّه تعالى استواءً يليق به على عرشه، وأما الأدلة الأخرى الكثيرة التي تدل على علو اللَّه تعالى، فهي أيضًا دليل آخر على هذا الاستواء، لأن الاستواء علو خاص بالعرش.

فطلاب العلم يفرقون بين العلو والاستواء، الاستواء صفة فعلية لذلك تجددت،

---

(١) [سورة فصلت: ٣٧].

(٢) [سورة الأعراف: ٥٤].

والرَّبُّ هو المعبودُ.

أما العلو فصفة ذاتية ثابتة دائمة ثبوت الرب ﷻ، لا تفارقه، أي: لا يزال اللَّه في علوه دائمًا وأبدًا حتى نزوله إلى سماء الدنيا في آخر كل ليلة، وحتى في وقت مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء فهو لا يزال في علوه، العلو صفة ذاتية ثابتة قديمة قدم الذات، وأما الاستواء فصفة فعل، الاستواء علو خاص بالعرش، وأما العلو فهو علو اللَّه تعالى على جميع مخلوقاته، وأنه بائنٌ من خلقه بذاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، لهذا يعرف الرب ﷻ ويتميز من جميع المخلوقات.

وأما القائلون بأن اللَّه في كل شيء وفي كل مكان لم يعرفوا ربهم بعد، فليتعلموا من جديد، فليطلبوه في علوه وليدعوه في علوه، وليجهروا باسمه في علوه، ويخافوه من فوقهم، بذلك يعرفون ربهم، وقبل ذلك فهم مضطربون غير عارفين بربهم [1]. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ الخلق له هو الخالق وحده، والأمر له هو الآمر وحده ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

قوله: «والرَّبُّ هو المعبودُ».

الشرح: الرب هو المعبود ليس معنى هذا تفسير الربوبية بالعبودية، بل يريد أن يقول الشيخ: والرب الخالق المربي هو المستحق للعبادة؛ لكونه ربًّا خالقًا، أي يريد أن يستدل بالربوبية على الألوهية كما تقدم في الآيات، وإلا فالرب بمعنى الخالق المربي، والإله بمعنى المعبود، يجب أن نفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة، نستدل دائمًا بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة، وهذا ما أراده الشيخ -رحمه اللَّه تعالى-.

---

(١) راجع في ذلك كتاب: «الصفات الإلهية» للشيخ -رحمه اللَّه تعالى-.

والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

قالَ ابنُ كثيرٍ -رحمه اللَّه تعالى-: الخالقُ لهذهِ الأشياءِ هو المستحقُّ للعبادةِ.

قوله: «والدليلُ قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ الآية» [(١)].

الشرح: هذا هو وجه الاستدلال «اعبدوا» لأنه هو الذي خلقكم، أما الذي لا يخلق ولا يرزق فلا يستحق العبادة [﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ هذه السماء هي المباني التي لها أبواب، وهي التي دخلها رسول اللَّه ليلة الإسراء والمعراج ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ وهذه السماء هي السحاب، لفظة السماء تطلق ويراد بها العلو والارتفاع، وتطلق ويراد بها تلك الأجرام المبنية المحكمة المتقنة، وتطلق ويراد بها السحاب ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ أي: الذي دبر أمركم هو المستحق للعبادة ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾] [(٢)].

إذا كان الأمر كذلك لا تجعلوا للَّه أندادًا، إذا كان هو الذي فعل ذلك، وانفرد بهذه الأفعال، بأفعاله التي تقدم ذكرها، إذن لا تجعلوا له أندادًا تحبونهم كحب اللَّه، وتعبدونهم كما تعبدون الرب الخالق، تعبدون مخلوقًا مثلكم وهو لم يخلق ولم يرزق، بل هو نفسه خُلق، وبحاجةٍ إلى من يرزقه، بحاجة إلى ربه سبحانه!

قوله: «قال ابن كثير[(٣)] -رحمه اللَّه تعالى-: الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة» [(٤)].

---

(١) [سورة البقرة: ٢١- ٢٢].
(٢) هذا من (أ).
(٣) هو الإمام الحافظ العلامة المحدث المفسر المؤرخ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي الشافعي ولد سنة (٧٠١هـ) وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٧٧٤هـ) ودفن بجوار شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية بمقبرة الصوفية.
(٤) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسير هذه الآية: «ومن أشبه آية بهذه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ الآية، ومضمونه: أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم فبهذا استحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره». تفسير القرآن العظيم سورة البقرة (١/ ٢٠٩).

وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللَّهُ بها: مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ.

الشرح: يقرر رَحِمَهُ اللَّهُ ما قلنا، هذا أسلوب القرآن وهو الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة، ومفهوم المخالفة: الذي لم يخلق هذه الأشياء ولا غيرها لا يستحق العبادة.

قوله: «وأنواعُ العبادةِ التي أَمَرَ اللَّهُ بها: مثلُ الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ».

الشرح: «أنواع» مبتدأ؛ والخبر محذوف تقديره كثيرة، وأنواع العبادة التي أمر اللَّه بها كثيرة.

ثم قال: «مثل الإسلام» في إمكانك أن تجعل «مثل الإسلام والإيمان والإحسان.. إلخ» هو الخبر ولكن فيه ركة في المعنى، والمعنى الواضح هو أن تقدر الخبر، والإيجاز بحذف الأخبار وهذا أسلوب عربي معروف.

وأنواع العبادة التي أمر اللَّه بها كثيرة، مثل الإسلام وهو الاستسلام، أي الأعمال الظاهرة، ومثل الإيمان، إذا ذكر الإسلام والإيمان معًا كما هنا وكما في حديث جبرائيل[1] يفسر الإسلام بأعمال الجوارح والإيمان بأعمال القلوب، وأعمال الجوارح من العبادة، من صلاة وزكاة وغير ذلك، وأعمال القلوب من خشية ومحبة ورضا ومراقبة، كل ذلك من الأعمال القلبية التي هي من شعب الإيمان، والإحسان أدق من الإيمان وأخص، الإسلام أشمل ثم الإيمان ثم الإحسان، كما سيأتي الكلام على هذه النقطة عند ذكر مراتب الدين الإسلامي الثلاث.

---

(١) سيأتي تخريجه لاحقًا -إن شاء اللَّه- في الأصل الثاني (ص٩٧).

ومنهُ الدعاءُ .

قوله: «ومنه الدعاء».

الشرح: «ومنه» الضمير يعود على أي شيء؟ العبادة مؤنث، والأنواع جمع، وكل جمع مؤنث، أين المذكر الذي تقدم ذكره حتى يعود إليه الضمير؟

الصحيح والصواب (ومنها) أي ومن أنواع العبادة، وهذا من تصحيح الألفاظ، يقولون: المعاني تحت المباني، لابد من تصحيح المباني، وعندما نصحح الألفاظ ليس معنى ذلك أننا نعقب على الشيخ، لأن الكتاب طبع عدة مرات، والأخطاء المطبعية واردة، وخصوصًا في هذا الوقت.

«ومنها» أي: ومن العبادات الكثيرة: الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، إلى آخر ما عدد الشيخ.

الدعاء: الدليل على ذلك: «الدعاء هو العبادة»[1]، و«الدعاء مخ العبادة»[2]، والشيخ سوف يستدل بـ: «الدعاء مخ العبادة»، وأصح منه: «الدعاء هو العبادة»، ولكن المعنى واحد، الدعاء مخ العبادة وإن قيل: فيه ضعف من حيث الإسناد؛ لكنه صحيح من حيث المعنى، لأن الحديث الثاني يشهد له، والمعنى سليم، الدعاء مخ العبادة، الدعاء هو العبادة.

ولفظة: «هو العبادة»، قد تكون أقوى، لأن فيه تعريف جُزْأي الإسناد، وتعريف

(١) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/ ١٠٩)، والترمذي في الجامع، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء (٥/ ٣٨٦) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه في السنن كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٥/ ٣٥٤)، والنسائي في الكبرى في كتاب التفسير، سورة غافر (١٠/ ٢٤٤)، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية»، وصححه الإمام الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٣١٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل الدعاء (٥/ ٣٨٦) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء مخ العبادة». وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، وضعفه الإمام الألباني في مشكاة المصابيح (٢٢٣١) وقال: ضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة، وهو سيئ الحفظ.

والخوفُ.

جزأي الإسناد عند علماء البلاغة يفيد الحصر والقصر، أي: الدعاء وحده هو العبادة؛ لأن الدعاء يدخل فيه دعاء طلب ودعاء مسألة، كل العبادات الصلاة دعاء، والزكاة دعاء، والحج دعاء، والصيام دعاء، هذا دعاء عبادة، وهناك دعاء طلب مثل: اللَّهم اغفر لي وارحمني، كل ذلك داخل في قوله: دعاء.

قوله: «والخوف».

الشرح: والخوف ينقسم إلى قسمين:

١ - **خوف طبيعي:** مثل خوفك من الأسد، وخوفك من العدو، وهربك منه، هذا هو الخوف الطبيعي، وقد تخرج من بلدك خوفًا من عدو أو جبار، هذا الخوف خوف طبيعي، وليس خوف عبادة، فهذا لا يؤثر.

٢ - **خوف العبادة:** هو الخوف السري؛ كخوف المريد والدرويش من الشيخ، شيخ طريقته، يخاف في سره، يخشى أن يطلع الشيخ على ما في ضميره فيضره في إيمانه، وفي نفسه، وفي أهله وماله، وربما يخاف من الشيخ أن يسلب إيمانه؛ لأن الدراويش والمريدين يؤمنون بمشايخهم أشد من إيمانهم باللَّه رب العالمين، ويخافون من شيوخهم أشد من خوفهم من اللَّه، يفعلون ما يشاءون مما يسخط اللَّه ولا يبالون؛ اعتمادًا على سعة رحمة اللَّه، يقولون: اللَّه أرحم الراحمين يغفر، ولكن الشيخ أبدًا لا يرحم، إذا اطلع على ما في ضميرك لا يرحمك!

أين الإيمان؟ أين الإسلام مع هذا الاعتقاد؟ وهذا الذي نقوله ليس من أساطير الأولين، في كثير من الأقطار، وعند كثير من الناس يجلس المريد أمام الشيخ جلسة الكلب أمام سيده، مطأطئًا رأسه على الأرض، خائفًا يكاد أن يضع يده على قلبه ليحافظ على ما في صدره، لئلَّا يخطر بقلبه خاطر لا يرضي الشيخ فيهلك، هذا هو خوف العبادة الذي هو الشرك الأكبر، من بلغ به الخوف من الشيخ إلى هذه الدرجة فهو مشرك شركًا أكبر، صلى أو صام.

والرجاءُ، والتوكلُ، والرغبة والرهبةُ، والخشوعُ، والخَشيةُ، والإنابةُ،

قوله: « والرجاء».

الشرح: الرجاء: أن يرجو الإنسان من اللَّه ما لا يقدر عليه غيره، يرجوه ويسأله ويطلب منه طلبات[1]؛ فموقفهم في الرجاء كموقفهم في الخوف تمامًا.

قوله: « والتوكل».

الشرح: التوكل: هو الاعتماد على اللَّه، يتوكل عليه ويعتمد عليه اعتمادًا كليًّا، ولا نقسم التوكل كما قسمنا الخوف، لا يجوز التوكل إلا على اللَّه إطلاقًا، التوكل والحسب خاص باللَّه تعالى، ولكن التوكل لا يمنع استعمال الأسباب، ومزاولة الأسباب المشروعة المباحة، بل العبد مأمور بمزاولة الأسباب المشروعة، كالتغرب لطلب العلم، والزواج لطلب الولد، وأن يعمل في التجارة والزراعة لطلب الرزق، ولكن لا يعتمد على هذه الأسباب، يعتمد على اللَّه ﷻ في نجاح هذه الأسباب.

وأما ترك الأسباب والتمني على اللَّه أن اللَّه يرزقه ولدًا صالحًا وهو لا يتزوج، أو يتمنى العلم ثم يجلس في بيته ليل نهار فيخرج على الناس أعلم أهل بلده! هذه أمنية كاذبة مخالفة لسنة اللَّه في خلقه، لابد أن يعمل الأسباب ويتوكل على اللَّه ﷻ في نجاح تلك الأسباب ولا يجوز الاعتماد على الأسباب.

قوله: « والرغبة والرهبة ».

الشرح: والرغبة والرهبة، الرغبة في الخير، والرهبة في الشر، لا ترغب إلا في اللَّه، ولا ترهب إلا من اللَّه، راجع للخوف والرجاء فهي متقاربة.

قوله: «والخشوع والخشية والإنابة».

الشرح: الخشوع والخشية متقاربان أيضًا، والإنابة والتوبة والرجوع إلى اللَّه، كل ذلك خاص باللَّه ﷻ الذي يُخشى ويُخشع له، ويُخضع له، ويُتذلل له، هو اللَّه وحده.

(١) هذا التعريف ذكره الشيخ في التوكل، ولكني نقلته هنا لربط الذهن.

والاستعانةُ، والاستعاذةُ، والاستغاثةُ، والذَّبْحُ، والنذرُ.

قوله: «والاستعانة».

الشرح: الاستعانة، وقد تنقسم الاستعانة إلى جائزة وغير جائزة، كطلب الاستعانة من غيرك فيما يقدر عليه كأن تطلب من غيرك أن يرفع المتاع على سيارتك، جائز لأنك طلبت منه ما يقدر عليه، ولكن إذا طلبت منه ما لا يقدر عليه إلا اللَّه فهذا هو الشرك، والاستعاذة كذلك.

قوله: «والاستغاثة».

الشرح: والاستغاثة: كونك تلجأ إلى إنسان ليحميك لتدخل البلد، وتستغيث برجال الإطفاء -الإسعاف- فيما يقدرون عليه جائز، لكن تستغيث بغير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، وتستعيذ بغير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، تلتجئ إلى غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه هذا هو الشرك.

قوله: «والذبح».

الشرح: والذبح نوعان: ذبح عادة وذبح عبادة، ذبح العادة كذبحك شاةً لتأكل لحمًا، أو تكرم ضيفك، ليس هذا هو المراد، إنما الذبح الذي تذبحه تقربًا، كالأضحية والهدايا والعقيقة، لو صرفت شيئًا من ذلك كما يفعله جهال الحجاج -فيما بلغنا- من جهال الحجاج عندما يرجع من الحج بالسلامة بدلًا أن يشكر اللَّه ويطعم عباد اللَّه، يأخذ الكبش ويهرول إلى قبر الشيخ ويذبح هناك، لأنه يعتقد أنه معه في هذه الرحلة؛ هو الذي حفظه، وهو الذي رده بالسلامة إلى بلده! ما قيمة هذا الحج؟ لا قيمة له؛ لأنه لم يؤمن بعد.

قوله: «والنذر».

الشرح: جعلُ النذر في الأموال مِن عوام المسلمين أصحاب البساتين مَن يجعل في النخل نخلة يخصصها للشيخ، هذه النخلة هي التي تحفظ النخل كله، ويجعل في الحوش ثورًا يحفظ الحوش كله ببركة الشيخ، إذا كان الحوش وكذلك الأموال الأخرى ليس فيها نذر للشيخ، يخاف على هذا المال من الضياع، هؤلاء يحتاجون إلى مراجعة

وغيرُ ذلك من العبادةِ التي أَمرَ اللَّهُ بها كلُّها للَّه تعالى.

والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾.

فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغير اللَّه فهو مشرِكٌ كافرٌ.

الإيمان، ويحتاجون إلى تصحيح عقيدتهم.

وهذا ما يجب على طلاب العلم اليوم؛ أن يصححوا هذه العقائد المدخولة إذ فيها كثيرٌ من الأخطاء، أخطاء منتشرة بعقائد عوام المسلمين في أكثر الأقطار الإسلامية، يعيشون على هذه العقيدة، فهم بحاجة إلى تصحيح عقائدهم، وقبل أن تصحح عقائدهم وقبل أن تقوم عليهم الحجة ببيان الحق نرجو أن يعذروا؛ لأنهم يجهلون أن هذه الأنواع من العبادة، ويحسبون أن هذا العمل من محبة الصالحين، ومن أنواع التوسل بالصالحين؛ إذن لم يتبين لهم الحق.

وإنما يحكم على الإنسان بالكفر دون تردد بالنسبة لمن تبين له الحق: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾[1] هؤلاء هم الذين يحكم عليهم بالكفر، أما الذين لم يخالفوا اللَّه ورسوله بعد أن تبين لهم الهدى، وبعدما تبين لهم الحق، ولكن ظنًّا منهم أنهم على الحق، وأنهم على الهدى، ولم يجدوا طلاب علمٍ وعلماء يبينوا لهم ذلك، نرجو أن يعذروا، ولكن في مثل هذه الانفتاحات العامة إذا علموا وسمعوا بواسطة المذياع ووسائل أخرى عليهم أن يبحثوا ويجتهدوا، ليخرجوا من هذه الجاهلية إلى الإسلام الصحيح.

قوله: «وغيرُ ذلك من العبادةِ التي أَمرَ اللَّهُ بها كلُّها للَّه تعالى. والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[2]، فمَنْ صَرَفَ منها شيئًا لغير اللَّه فهو مشرِكٌ كافرٌ».

الشرح: فمن صرف منها شيئًا لغير اللَّه فهو مشرك كافر؛ الأصل فيمن صرف هذه

---

(١) [سورة النساء: ١١٥].

(٢) [سورة الجن: ١٨].

.....

الأنواع أو أي نوع من هذه الأنواع لغير اللَّه تعالى أنه مشرك شركًا أكبر، وكافر خارج من الملة؛ ولكن هل كل من صرف نوعًا من هذه الأنواع لغير اللَّه تعالى وكل من فعل كفرًا فهو يكفر؟ وكل من ارتكب شركًا فهو مشرك أو لابد من التفصيل ؟

قد يقول المرء كفرًا فلا يكفر، وغيره يكفر؛ وقد يفعل فعلًا كفريًّا يكفر به، والآخر لا يكفر، أحوال الناس تختلف، وظروف الناس تختلف، ومفاهيمهم، كل ذلك لابد من ملاحظته، وهذا الإطلاق على الأصل هكذا، ولكن إذا راجعنا أحوال الناس واختلافهم في الفهم وعدم الفهم، والظروف التي يعيشون فيها، والبيئة التي نشئوا فيها، نجد الناس بينهم اختلاف شديد.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تفصيل طويل في مثل هذا المقام، أي: فيمن يأتي بالمكفرات، حيث يكفر بعضهم وبعضهم لا يكفر[1]، فنحن نعيش بين أناس نعرف عقائدهم، وموقفهم من الإسلام، لذلك لابد من التفصيل، ومن لم يتبين له الهدى وظن أن ما هو عليه هو الإسلام الذي جاء به رسول اللَّه ﷺ، وحالت بينه وبين الفهم الصحيح شبه وجهل واتكال على كلام المشايخ والمنتسبين إلى العلم الذين لا يفرقون بين الشرك وبين التوحيد، نشئوا في مثل تلك البيئة، وظنوا أن ما هم عليه هو الإسلام، ويسمعون من بعض المشايخ من يقول: إن الذبح لغير اللَّه والنذر للصالحين والطواف بأضرحتهم ودعاءهم والاستغاثة بهم كل ذلك من محبة الصالحين، ولا يضر التوحيد وليس بشرك، وظنوا أن هذا هو الحق، أمثال هؤلاء لابد أن يعذروا حتى ينتقلوا من تلك البيئة ويفهموا عقيدة دين الإسلام الفهم الصحيح.

عندما يفصل شيخ الإسلام هذا التفصيل يستدل بآيتين من سورة البقرة، قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[2]، وبآية في سورة النساء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

(١) راجع في ذلك كتاب «الاستقامة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٦٣- وما بعدها) تحقيق رشاد سالم.
(٢) [سورة البقرة: ٢٨٦].

والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1]، أما من لم يتبين له الهدى، ولم يتعمد مشاقة اللَّه ومشاقة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، بل ظن أن ما يفعله هو الهدى، وهو الحق الذي جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لابد من بيان الحق لهم أولًا، ودعوتهم، ومحاولة إصلاحهم، فإذا تبين له وتعصب بعد ذلك لمألوفاته وتقاليده، يحكم عليه بعد ذلك بأنه كافر كفرًا بواحًا، ومشركٌ شركًا أكبر.

لابد من هذا التفصيل كما نفهم ذلك من واقع الناس، لأنك لو وعظت هؤلاء الذين يشركون باللَّه هذا الشرك الأكبر وذكرتهم باللَّه، وذكرت لهم الجنة والنار، وأسمعتهم نصوص الوعد والوعيد، لوجدتهم يتأثرون تأثرًا بالغًا، بمعنى: لم يُصب قلوبهم شيء من الخراب، خراب القلب هو الكفر، طالما يوجد في قلب المرء خشية وخوف من اللَّه، والرجاء فيما عند اللَّه، ولكنه أخطأ الطريق الموصلة إلى اللَّه وجعل يتخبط هنا وهناك وهو يعتقد أنه يسير إلى اللَّه سيرًا صحيحًا، مثل هؤلاء يعذرون حتى يتبين لهم الهدى، لابد من هذا التفصيل.

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾»[2].

الشرح: لفظة: «إله» تطلق على المعبود بالحق وعلى المعبود بالباطل، ولكن لفظ الجلالة «اللَّه» لا تطلق إلا على المعبود بالحق، خالق السموات والأرض، أما لفظة: «إله» فكل ما عُبد من دون اللَّه من شجر وحجر وجني وإنسي وشمس وقمر وضريح وقبر يطلق عليهم لغة أنه إله، أي: مألوه، المعبود الذي عبده الناس، سواء كان بالحق أو بالباطل، لذلك اشتملت كلمة التوحيد على الكفر والإيمان «لا إله إلا اللَّه»، «لا إله» كفر بما يعبد من دون اللَّه، «إلا اللَّه» إثبات العبادة للخالق الحق، أي: تشتمل كلمة التوحيد على النفي والإثبات، وعلى الكفر والإيمان.

---

(١) [سورة النساء: ١١٥].

(٢) [سورة المؤمنون: ١١٧].

.....

ولابد من ذلك، لابد من الجمع بين الكفر والإيمان، والنفي والإثبات، وإلا لو قلت: اللَّه ربي. وعبدته، ومع ذلك تعبد غيره، ولم تنفِ عبادة غيره، لا باللفظ ولا بالفعل، ما ينفعك توحيدك، لو عبد إنسان طول حياته اللَّه رب العالمين، ولكن يعبد معه غيره، ولم يكفر بعبادة غيره، ما تنفعه تلك العبادة، إنما تنفعك عبادة اللَّه إذا كفرت بعبادة غيره.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الآية لاحظ أنه قال: مع اللَّه، ومن يدع من دون اللَّه وذلك أبلغ، وإذا دعوت مع اللَّه غير اللَّه ما نفعتك العبادة، وإذا دعوت غير اللَّه من دون اللَّه فمن باب أولى.

ثم قال تعالى: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ هذه الجملة حالية، والحال في المعنى وصف وهي صفة كاشفة، معنى الصفة الكاشفة؛ أي: لا مفهوم لها، أي: لا يوجد إله يعبد من دون اللَّه وللعابد حجة، والمراد بالبرهان الحجة والدليل، ولفظة: برهان وحجة وسلطان، بمعنى الدليل، من يعبد مع اللَّه غير اللَّه لا دليل له قطعًا ولذلك تسمى صفة كاشفة لا مفهوم لها.

قوله: «﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾».

الشرح: لم يقل ولم يعين نوع هذا الحساب، وهذا يسمى عند البلاغيين إبهام، وفي هذا الإبهام وعيد شديدٌ، في أسلوب القرآن إذا أراد تعظيم العذاب وتهويل العذاب يبهم، والإبهام نوع من تعظيم العذاب وتهويل العذاب وتهويل الموقف؛ وحسابه عند اللَّه هو الذي يعلم كيف يحاسبه لأنه يعلم قلبه كما يعلم ظاهره يترك أمره إلى اللَّه كأنك قلت: أمره إلى اللَّه وهو الذي يحاسبه بما يستحق.

قوله: «﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾».

الشرح: دليل على أن من دعا أو عبد غير اللَّه مع اللَّه فإنه كافر، إن كان معذورًا كما مر في التفصيل السابق يكون كفره كفرًا دون كفر، وإن كان غير معذور وقامت عليه الحجة وتبين له الحق والهدى فخالف فكفره كفرٌ بواح ناقل من الملة.

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَة» والدليلُ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

قوله: «وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة»[1]».

الشرح: وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة»، وفي الحديث الآخر الأصح: «الدعاء هو العبادة»[2] معناهما واحد، مخ الشيء خالصه، الدعاء خالص العبادة؛ [والدعاء هو العبادة أصح وأقوى من حيث الدلالة، لأن فيه تعريف جزأي الإسناد، وهذا يدل على الحصر، أي: الدعاء وحده هو العبادة، فكأنه يقول: العبادة كلها تنحصر في الدعاء؛ لأن الداعي يدعو اللَّه متذللاً راجيًا خائفًا، طامعًا معظِّمًا للذي يدعوه، فهذه المعاني كلها تجتمع في الدعاء، لذا الدعاء هو العبادة، ولأن حقيقة الدعاء هو غاية الذل مع غاية الحب، ولأن الداعي معظم لمن يدعوه، ومتذلل له، ومحب له، وطامع في الإجابة منه][3].

قوله: «والدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾»[4].

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ سمى الدعاء عبادة؛ أي: إن الذين يستكبرون عن الدعاء إما تكبرًا، أو إعراضًا، أو إشراكًا، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين، كما تكبروا ولم يخضعوا للَّه تعالى وحده، وأشركوا معه غيره.

---

(١) سبق تخريجه انظر (ص٥٠).

(٢) سبق تخريجه انظر (ص٥٠).

(٣) هذا من (أ).

(٤) [سورة غافر: ٦٠].

ودليلُ الخوفِ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

قوله: «ودليل الخوف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾»[1].

الشرح: شرطٌ وجواب ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هذا شرط، والجواب إما متقدم، أو محذوف يدل عليه المتقدم، ﴿وَخَافُونِ﴾ هو الجواب للشرط عند من يجيز تقديم الجواب على الشرط، وهم البصريون وبعض الكوفيين، وعند غيرهم الجواب محذوف، يدل عليه ما قبله: إن كنتم مؤمنين خافونِ، والمعنى واحد، لابد من أخذ الآية بمنطوقها ومفهومها، المنطوق: إن كنتم مؤمنين خافونِ، والمفهوم: من لم يخَف اللَّه ويفرده بالخوف منه ليس بمؤمن، وقد سبق أن فصلنا الكلام في الخوف.

وهذا الخوف خوف عبادة كخوف السر، أما الخوف الطبيعي كأن يخاف الإنسان من عدوه الذي هو أقوى منه، ويخاف من النار، ويخاف من الأسد، وهذا الخوف يسمى خوفًا طبيعيًا، لا خوف عبادة، الخوف الذي هو يعتبر شركًا إذا صُرِف لغير اللَّه تعالى، كأن تخاف من مخلوق خوف السر، أي: لا تخاف من ضربه وبطشه، ولكن تخاف من أن يؤثر فيك بسره، بكرامته، كما يسمون، وهذا هو الشرك الأكبر.

وهذا المعنى يقع فيه كثير من عوام المسلمين الذين يتربون في أحضان المتصوفة، الذين يربون الناس على الإعراض عن اللَّه، والخوف من عباد اللَّه، ويجعلون أنفسهم وسطاء بين العباد وبين رب العباد، ويحثونهم أن يخافوا من المشايخ، ويرجوهم، ويتملقوا لهم، وليس عليهم شيء بعد ذلك، هم أهل الجنة طالما يخلصون الخوف والرجاء والرغبة للشيخ فهم من أهل الجنة، يدعونهم إلى الكفر ثم يعدونهم بالجنة، تناقضات عجيبة!

---

(١) [سورة آل عمران: ١٨٥].

ودليلُ الرَّجاءِ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

ودليلُ التَّوكُّلِ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

قوله: «ودليل الرجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾»[1].

الشرح: كأن يرجو غير اللَّه مع اللَّه كما تقدم في الكلام السابق، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بعد الموت، بعد البعث، من يرجو لقاء ربه، ويؤمن بلقاء ربه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾العمل الصالح: العمل الموافق للسنة، إذا كان صالحًا وكان خالصًا نفعك؛ العمل الصالح العمل المقيد بالسنة، الخالص ما أردت به وجه اللَّه، لذلك قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾بما في ذلك الرجاء، لأن اللَّه هو الذي بيده كل شيء، فليخلص الرجاء للَّه ﷻ.

قوله: «ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾»[3].

الشرح: ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر، وخصوصًا إذا كان جارًّا ومجرورًا، وعلى اللَّه وحده دون ما سواه فتوكلوا، أي: لا تتوكلوا إلا على اللَّه، وهذا المعنى نأخذه من تقديم المعمول على العامل، الجار في ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ متعلق بـ ﴿فَتَوَكَّلُوا﴾، بالفعل الذي بعده، فقدم الجار والمجرور الذي هو المعمول على العامل، وهذا يفيد الحصر، ليحصر التوكل على اللَّه وحده، أي: وعلى اللَّه وحده دون غيره فتوكلوا، متى؟ ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) [سورة الكهف: ١١٠].

(٢) [سورة المائدة: ٢٣].

(٣) [سورة الطلاق: ٣].

ودليلُ الرَّغْبَةِ والرَّهبَةِ والخُشوعِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

فتخصيص الرب وحده بالتوكل عليه دليل الإيمان، والتوكل عمل قلبي فلا يجوز للإنسان أن يتوكل على غير اللَّه تعالى، قد يفوض إلى غيره أمرًا من الأمور التي يستطيع عليها الوكيل، وهذا لا يسمى توكلًا، يسمى توكيلًا أي: يوكله على عمله، لكن التوكل الذي هو اعتماد القلب، لا يكون إلا على اللَّه][1]، لا يجوز الاعتماد في رزقك وهدايتك وفي صلاحك وصلاح ذريتك وصلاح شئونك، لا يجوز الاعتماد إلا على اللَّه مطلقًا، والاعتماد على بعض الأسباب بالقلب نوع من الشرك، مزاولة الأعمال ومباشرتها مشروع، ولكن الاعتماد على تلك الأسباب من الشرك، الاعتماد على اللَّه وحده.

قوله: «ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾»[2].

الشرح: ودليل الرغبة والرهبة والخشوع: قوله تعالى وهو يصف بعض الأنبياء: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

من صفات الأنبياء والصالحين: أنهم يدعون اللَّه رغبة ورهبة، ومحل الشاهد: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ بأسلوب الحصر، وأين الحصر؟ تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر، أين العامل وأين المعمول في الذي تقدم؟ في قوله: ﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ حصر وقصر لتقدم المعمول على العامل، والعامل هو الأفعال والمشتقات من الأفعال هي التي تعمل، والفاعل عامل، والمفعول به معمول، والظرف معمول، والجار والمجرور معمول، والمعمول في الآية المتقدم هو الجار والمجرور «لنا»، «لنا» معمول، لـ «خاشعين»، وخاشعين هو العامل لأن التقدير: «كانوا خاشعين لنا».

---

(١) هذا من (أ).

(٢) [سورة الأنبياء: ٩٠].

ودليلُ الخَشيةِ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾.

ودليل الإنابةِ قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

ودليل الاستعانةِ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وفي الحديثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

ولو عبر بهذا التعبير في غير القرآن مثلًا وقلنا: وكانوا خاشعين لنا، فلا يفيد المعنى الذي يفيد عند التركيب، كانوا خاشعين لنا، لا يمنع أن يكونوا خاشعين لغيرنا، ولكن إذا قال: وكانوا لنا وحدنا خاشعين لا يخشعون لغيرنا، هكذا، يفيد تقديم المعمول على العامل، أي: تقديم الجار والمجرور «لنا» على الخاشعين، والخاشعين من حيث الإعراب خبر كان، والواو اسمها، وخاشعين خبرها، ولكن خاشعين تعمل لأن الجار والمجرور متعلق بخاشعين.

قوله: «ودليلُ الخَشيةِ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾»[1].

الشرح: هذا صريح، فيه نهي عن خشية غير اللَّه، وأن تكون الخشية للَّه، والخشية بمعنى الخوف، وقد تقدم التفصيل في الخوف وهو نفس التفصيل في الخشية.

قوله: «ودليل الإنابةِ: قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾»[2].

الشرح: الإنابة: الرجوع والتوبة إلى اللَّه، وتسليم الأمر للَّه، وكل ذلك لا يكون إلا للَّه.

قوله: «ودليل الاستعانةِ: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3]، وفي الحديثِ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»[4]».

الشرح: فرق بين: «إياك نعبد» و«نعبد إياك»، فرق بين: «إياك نستعين» و«نستعين

---

(١) [سورة البقرة: ١٥٠].
(٢) [سورة الزمر: ٥٤].
(٣) [سورة الفاتحة: ٥].
(٤) أخرجه الترمذي في الجامع أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول اللَّه ﷺ (٤/ ٢٨٤)، عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول اللَّه ﷺ يومًا فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللَّه، وإذا استعنت فاستعن باللَّه...» الحديث، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الإمام الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٤٨).

ودليل الاستعاذةِ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

ودليل الاستغاثةِ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

إياك»، تقديم المعمول الذي هو إياك في الفعلين يفيد الحصر، إياك وحدك نعبد، لا نعبد غيرك، ولا نعبد معك سواك، وإياك وحدك نستعين، لا نستعين إلا بك، وتقدم التفصيل في الاستعانة؛ يجوز للإنسان أن يستعين بغير اللَّه فيما يقدر عليه ذلك الغير، كأن يطلب منه أن يرفع له متاعه على دابته، وعلى سيارته، وأن يرفع له سوطه الذي سقط من يده، كل هذا جائز، ومثل أن يرفع له القلم، وغير ذلك من الأمور المعروفة.

وفي الحديث: «إذا استعنت فاستعن باللَّه» أي: فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، وكذلك إذا استغثت فاستغث باللَّه؛ وإذا سألت فاسأل اللَّه.

قوله: «ودليل الاستعاذةِ: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[1]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[2]».

الشرح: الاستعاذة بمعنى اللجوء والالتجاء، قد يلتجئ الإنسان إلى غير اللَّه فيما يقدر عليه ذلك الغير؛ كأن يلتجئ إلى عظيم من العظماء ليحميه من عدوه ويدخل بلده أو يمر في بلده، فمثل هذا جائز.

قوله: «ودليل الاستغاثةِ: قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[3]».

الشرح: [أن تستغيث بالمخلوق فيما يقدر عليه المخلوق جائز، كالاستغاثة برجال الإسعاف، والاستغاثة أبلغ من الدعاء، والفرق بينهما: هو أن الاستغاثة هي دعاء المضطر الذي لم يجد أي حيلة مادية للنجاة، كالغريق في البحر الذي لم يجد أي سبب مادي لإنقاذه، فهذا يلتجئ إلى اللَّه ويعتمد عليه في النجاة، ولو اعتمد على غير اللَّه في هذه الحالة فهذا هو الشرك الأكبر، وهو أكبر من الدعاء العادي][4].

---

(١) [سورة الفلق: ١].
(٢) [سورة الناس: ١].
(٣) [سورة الأنفال: ٩].
(٤) هذا من (أ).

ودليل الذَّبْح قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾. ومِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ».

قوله: «ودليل الذَّبْح: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]».

الشرح: الشاهد: ﴿وَنُسُكِي﴾، النسك: هو الذبح، ويتقرب العبد بالنسك للَّه ﷻ، *كالذبح يوم العيد بذبح الهدايا والأضحية*، وكذلك السنة المشروعة في العقيقة، هذه من أنواع الذبائح التي تعتبر عبادة، ولو ذبح شاة لأولاده أو لضيوفه لا يعتبر ذلك عبادة، أي: ليس كل ذبح عبادة، إنما الذبح الذي يقصد به التقرب لا يكون إلا للَّه، ما معنى صرف الذبح لغير اللَّه تعالى؟ وهذا شيء معروف لدى جمهور عوام المسلمين إلى يومنا هذا، كثير منهم إذا سافر أو رجع من السفر بالسلامة ولاسيما في سفر الحج بادر بكبشه إلى الشيخ، إما يذبحه في بيته باسم الشيخ، ومحبة للشيخ وتقربًا إلى الشيخ، أو يأخذه إلى ضريحه فيذبحه عند الضريح، مما زاد الطين بلة.

وهذه الذبائح لا يحل أكلها ولو قال عند قطع الرقبة: «باسم اللَّه»، طالما تقرب بهذه الذبيحة إلى غير اللَّه تعالى، التلفظ بالبسملة كلمة جوفاء، يقولها عند قطع الرقبة، «باسم اللَّه» لا تفيده؛ لأنها إنما ذبحت لغير اللَّه، فليفهم هذا جيدًا، ومن تقرب بذبيحة من الذبائح سواء ذبحها في بيته أو عند قبر الشيخ طالما قصد ونوى التقرب بهذه الذبيحة إلى غير اللَّه تعالى فهي جيفة ميتة.

قوله: «ومِنَ السُّنَّةِ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»[2]».

الشرح: الذبح لغير اللَّه لا يستشكل كثيرًا إلا في شبابنا الذين نشئوا في الإسلام،

---

(١) [سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير اللَّه تعالى ولعن فاعله (٣/ ١٥٦٧) عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال: ما كان النبي ﷺ يسر إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبي ﷺ يسر إلي شيئًا يكتمه الناس غير أنه قد حدثني بكلمات أربع قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: «لعن اللَّه من لعن والده، ولعن اللَّه من ذبح لغير اللَّه، ولعن اللَّه من آوى محدثًا، ولعن اللَّه من غير منار الأرض».

ودليلُ النَّذْرِ قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

ولا يعرفون شيئًا من ذلك، لكن من يصغي إلى الخارج، وما الذي يجري في كثير من الأقطار يجد أن أكثر التقرب إلى المشايخ بالذبائح.

قوله: «ودليلُ النَّذْرِ: قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[1]».

الشرح: النذر عبادة غريبة، بمعنى لم يحث الشارع على النذر، بل حث على عدم النذر: «إن النذر لا يأتي بخير وإنما شيء يخرج اللَّه به من يد البخيل»[2]، البخيل الذي لا يتصدق يخرج اللَّه من يده بالمرض، مثل أن يمرض أو يمرض ولده فيقول: إن شفى اللَّه مريضي، أو إن رد اللَّه عليَّ ضالتي، أو نجح ابني في الدور الأول أذبح للَّه تعالى كبشًا أطعم الفقراء، كان بخيلًا لا يجود، لكي يذبحه ويطعم به الفقراء؛ أخرج اللَّه من يده هذا الكبش بهذا النذر.

إذن النذر لا يأتي بخير، ووجه غرابته وندرته ومخالفته لسائر العبادات: أنه لم يحث الشارع على النذر، ولكن أوجب الوفاء به، من نذر وجب عليه الوفاء؛ «من نذر أن يطيع اللَّه فليطعه»[3]، لكن ابتداء ليس محل الحث ولكن عند الإيفاء يجب الإيفاء بالنذر.

---

(١) [سورة الإنسان: ٧].

(٢) أخرج البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور، باب الوفاء بالنذر (٤/ ٢٢٧)، ومسلم في صحيحه كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئًا (٣/ ١٢٦١)، عن سعيد بن الحارث أنه سمع ابن عمر ﷺ يقول: أولم ينهوا عن النذر؟ إن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخر، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل»، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (٤/ ٢٢٨)، عن عائشة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من نذر أن يطيع اللَّه فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه».

الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دين الإسلامِ بالأدلةِ، وهو الاستسلامُ للَّهِ بالتوحيدِ، والانقيادُ له بالطاعةِ، والخلوص مِنَ الشِّركِ وأهلِهِ.

قوله: «**الأصلُ الثَّاني: معرفةُ دينُ الإسلامِ بالأدلةِ، وهو الاستسلامُ للَّهِ بالتوحيدِ**».

الشرح: هذا تعريف الإسلام: وهو الاستسلام للَّه تعالى بالتوحيد، بمعنى إذا ذكر الإسلام وحده هكذا يدخل معه حتى إيمان القلب، الإسلام والإيمان إذا ذكرا معًا يفرق بينهما في المعنى، كما في حديث جبرائيل[1]، يفسر الإيمان بأعمال القلوب، ويفسر الإسلام بأعمال الجوارح، ولكن إذا ذكر الإسلام وحده دخل معه الإيمان، وإذا ذكر الإيمان وحده دخل معه الإسلام.

لذلك يقول الإمام هنا: الإسلام هو الاستسلام للَّه بالتوحيد، أول شيء الاستسلام للَّه بالتوحيد وبالإفراد، إفراد اللَّه تعالى بالعبادة يعتبر إسلامًا ويعتبر إيمانًا، كما انفرد اللَّه ﷻ بأفعاله؛ بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع يجب إفراده ﷻ بأفعال العباد؛ بالدعاء والاستغاثة والنذر وغير ذلك من الأمور التي تقدم ذكرها، وهذا يسمى إسلامًا ويسمى إيمانًا.

«**والانقياد له بالطاعة**» أشار هنا إلى أفعال الجوارح، الاستسلام له بالتوحيد أعمال القلوب، لأن أصل التوحيد ينبعث من إيمان القلب، لذلك العقيدة جانب مهم من الإيمان، ومن يدعي الإيمان وهو لا يحقق العقيدة إيمانه دعوى، لأن العقيدة هي الجانب المهم من الإيمان، لأن الإيمان اعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ونطق باللسان، الاعتقاد بالقلب هو الذي يسمى عقيدة، وهو الإيمان، لذلك ليست العقيدة مادة خاصة يدرسها طلاب العلم المنتسبون إلى الجامعات والمعاهد، بل العقيدة علم لا يستغنى عنه أي مسلم ومسلمة.

قوله: «**والانقيادُ له بالطاعةِ**».

الشرح: «والانقياد له بالطاعة»، طاعة اللَّه تعالى وطاعة رسوله ﷺ، فرسول اللَّه له

---

(١) سيأتي تخريجه في (ص٩٧).

.....

الطاعة المطلقة غير المقيدة، وطاعة غيره من المخلوقين مقيدة كطاعة ولاة الأمور وطاعة الوالدين هذه مقيدة، أما طاعة الرسول ﷺ طاعة مطلقة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ عطف طاعة الرسول ﷺ على طاعة اللَّه تعالى وأعاد الفعل، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1] وعند ذكر أولي الأمر لم يعد الفعل؛ لأن طاعتهم تابعة لطاعة اللَّه تعالى وطاعة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، أما إذا أمر الرسول أو نهى فلا نبحث عن وجود ذلك في الكتاب، نطيعه طاعة مطلقة ولو لم يرد المأمور به على لسان الرسول -عليه الصلاة والسلام- في القرآن، ولو لم يرد المنهي عنه على لسان الرسول ﷺ في القرآن، وجبت علينا طاعته، هذا هو معنى الطاعة المطلقة.

وأمثلة ذلك يعرفها من يدرس الأحكام الفقهية، لأن في الأحكام أحكامًا جاءت في الكتاب، وهناك أحكام انفردت بها السنة، ولا فرق بينهما، كذلك في باب الأسماء والصفات، صفات اتفقت عليها نصوص الكتاب والسنة، وصفات جاءت في السنة فقط، ولم يأتِ ذكرها في الكتاب، لا نتوقف عند تطبيقها على ورودها في الكتاب، وهذه نقطة مهمة يجب أن يعلمها طلاب العلم، لئلَّا يظنوا أن السنة قد لا تنفرد، بل السنة قد تنفرد، السنة تأتي موافِقة وتأتي مؤسِّسة وتأتي مؤكِّدة.

قوله: « والخلوصُ مِنَ الشِّركِ وأهلِهِ[2] ».

الشرح: الخلوص من الشرك؛ لأن التوحيد إذا لم يكن خالصًا للَّه لا يقبل، كذلك

---

(١) [سورة النساء: ٥٩].

(٢) قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه اللَّه-: هذه العبارة: «والخلوص من الشرك» الصواب أنها: «والبراءة من الشرك وأهله» هذا هو الموجود في النسخ المعتمدة، أما: «والخلوص من الشرك» فهذه ليست في النسخ المعتمدة، ومن المعلوم أن «البراءة من الشرك وأهله» أدل على المراد، لأن الخلوص من الشرك إنما هو خروج عن الشرك، وليس فيه معنى البراءة من الشرك وأهله، ولهذا كان الأصح أن يُجعل ما هو في النسخ المعتمدة الأخرى وهي أن: «الإسلام: الاستسلام للَّه بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله»، وهذا هو الذي يناسب الاستدلال الذي استدل به الشيخ وهو قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فذكر البراءة وهو الذي يناسب هذا التعريف. شرح ثلاثة الأصول (٤٦-٤٧).

وهو ثلاثُ مراتبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ.

الطاعة إذا لم تكن خالصة للَّه لا تقبل، لأن اللَّه أغنى الشركاء كما أخبر عن نفسه في الحديث القدسي: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه** »[1]، الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة، والتوحيد لا يقبل إلا إذا كان خالصًا، إذن هو الاستسلام للَّه بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وأن يكون ذلك خالصًا للَّه تعالى، هذا هو الإسلام وهذا هو الإيمان.

قوله: « وهو ثلاثُ مراتبَ: الإسلامُ، والإيمانُ، والإحسانُ».

الشرح: «وهو» الضمير يعود على الإسلام، وهو أي الدين الإسلامي الذي جاء به الرسول ﷺ «ثلاث مراتب: المرتبة الأولى: الإسلام، والمرتبة الثانية: الإيمان، والمرتبة الثالثة: الإحسان».

والإسلام أوسع؛ لأن الإسلام هو الاستسلام الظاهري، قد يدخل فيه إسلام المنافقين، والإيمان أضيق وأخص؛ لأن الإيمان لابد أن يكون فيه تصديق في القلب زيادة على الإسلام الظاهري، والإحسان أدقهما أي الإحسان الإتقان، المحسنون خُلَّصُ المؤمنين، إذا وصل الإنسان إلى درجة الإحسان كان مسلمًا مؤمنًا، ازداد زيادة بزيادة الأعمال حتى قوي إيمانه وارتقى وقوي ووصل إلى درجة من شدة مراقبة اللَّه تعالى أنه يعبد اللَّه كأنه يشاهده، تؤثر فيه مراقبة اللَّه ومحبة اللَّه وخشية اللَّه إلى درجة أنه يعبد اللَّه كأنه يراه فيشاهده، إيمانًا منه بأنه يطّلع عليه اللَّهُ دائمًا وأبدًا؛ فاللَّه يراه ويسمعه ويعلم منه كل شيء.

والوصول إلى هذه الدرجة ليست بالحكاية كما نحكي، ولكن بالعمل، وقلَّ من يصلون إلى هذه الدرجة، درجة الإحسان، لا يصل المرء إلى هذه الدرجة إلا بالعلم واليقين والصبر.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عملٍ غيرَ اللَّه (٤/ ٢٢٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «قال اللَّه تبارك وتعالى...» فذكره.

.....

لذلك نحث شبابنا الطيبين الذين يرغبون كثيرًا في الجهاد ويقولون في هذه الأيام: ما العلم وما العلم ؟ الجهاد الجهاد!! نصيحتنا لهم: هذا غرور وخديعة شيطانية، أيما فكرة وأيما جماعة وأيما شخص يحثك على ترك العلم والانقطاع إلى الجهاد يزين لك ما ظاهره عملٌ صالحٌ وليس بصالح، لا تعرف درجة المجاهدين ولا تصل إلى درجة المجاهدين ودرجة الإحسان والقرب من اللَّه إلا بالعلم، العلم هو الطريق، قد يزين لك بعض الناس الجهاد وتنقطع عن العلم، تدور السنة والسنتين، الجهاد الجهاد!! لا أنت جاهدت ولا تعلمت.

هذا واقع كثيرٍ من الشباب، تزيين من الشيطان، اجْتَهِدْ في تحصيل العلم، وفي بعض الفرص اذهب فجاهد، تدرب أولًا وتعلم ثم جاهد، هكذا يفعل كثيرٌ من الشباب المخلصين، الذين نرجو أن يكونوا مخلصين وهم يجاهدون من وقتٍ لآخر في صمت تام، دون جعجعة.

أما اتخاذ الجهاد شعارًا أجوف: الجهاد الجهاد!! هكذا كان يفعل بعض الناس، ولما اندلعت الحرب في أفغانستان وقام الجهاد انكشفوا، تلك ظاهرة حقيقية لا يعلمها إلا المجربون، اسألوا المجربين، فلا تتخذوا الجهاد شعارًا أجوف، الجهاد عمل صالح ذروة سنام الإسلام، ليس معناه ألفاظًا جوفاء ومظاهرات وإعلانات؛ لا، جاهد في سبيل اللَّه سرًّا، اذهب حيث يوجد الجهاد فجاهد وأنت صامت، لا يعلم منك ذلك إلا اللَّه ﷻ.

وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ، فأركانُ الإسلامِ خمسة: شهادةُ أنْ لا إله إلاّ اللَّهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ بيتِ اللَّهِ الحرامِ.

فدليلُ الشّهادةِ قولُهُ تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ومعناها: لا معبودَ بحقٍّ إلا اللَّهُ وحده،

قوله: «وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ، فأركانُ الإسلامِ خمسة: شهادةُ أنْ لا إله إلاّ اللَّهُ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ، وإقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ بيتِ اللَّهِ الحرامِ».

الشرح: وكل مرتبة لها أركان، فأركان الإسلام خمسة أخذًا من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت اللَّه الحرام لمن استطاع إليه سبيلًا»[1].

أخذ الشيخ من هذا الحديث فقال: أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، الشهادة: الإعلان والنطق باللسان والانقياد لذلك كما تقدم، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت اللَّه الحرام.

قوله: «فدليلُ الشَّهادةِ: قولُهُ تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]».

الشرح: اللَّه ﷻ شهد لنفسه بالتوحيد، وشهدت له الملائكة وشهد له المؤمنون.

قوله: «ومعناها: لا معبودَ بحقٍّ إلا اللَّهُ وحده».

الشرح: وتقدير «لا معبود بحق» أمر ضروري، ومن يقول: لا معبود إلا اللَّه. دون تقدير إما «بحق» أو «حق» فهو مخطئ لا يفهم معنى لا إله إلا اللَّه؛ لأن معنى ذلك ينفي وجود

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم (١/ ٢٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام (١/ ٤٥).

(٢) [سورة آل عمران: ١٨].

(لا إله)نافيًا جميعَ مَا يُعْبدُ مِنْ دونِ اللَّهِ (إلا اللَّه) مُثْبِتًا العبادةَ للَّهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ، كما أنَّه ليس له شريك في مُلْكِهِ.

المعبودات مطلقًا، وهذا خلاف الواقع، المعبودون موجودون في كل وقت، ولكن المعبود بحق هو اللَّه وحده، هذا معنى أن الشهادة تشتمل على الكفر والإيمان، الكفر بما يعبد وبمن يعبد من دون اللَّه، والإيمان بعبادة اللَّه وحده لا معبود بحق إلا اللَّه وحده.

وأما من عبد وما عبد منذ أن عبدت الأصنام والأوثان إلى يوم الناس هذا، عبادتهم باطلة، وهم في اللغة يطلق عليهم آلهة كلها آلهة، والعرب كانت تسميهم آلهة والناس اليوم لما جهلوا اللغة لا يسمونهم آلهة، يسمونهم المشايخ والصالحين والأولياء والأضرحة والمقامات أسماءٌ مغيرة فهي آلهة، كل ما عبد من دون اللَّه ولو حجرًا أو شجرًا أو شيطانًا أو وليًّا، لا فرق، أي: لا فرق بين أن يعبد الإنسان صالحًا أو يعبد شيطانًا أو طالحًا كلها آلهة بالباطل لا تستحق العبادة ولو كانوا من الصالحين.

قوله: « (لا إله) نافيًا جميعَ مَا يُعْبدُ مِنْ دونِ اللَّهِ ».

الشرح: أي: لا إله حال كونك نافيًا، تقول أيها الموحد: لا إله نافيًا جميع ما يعبد من دون اللَّه من الصالحين والطالحين والجمادات والمتحركين؛ كلهم عبادتهم باطلة، مثبتًا تقول: (إلا اللَّه) أي: تقول: إلا اللَّه؛ مثبتًا العبادة للَّه وحده لا شريك له في عبادته، وقد تقدم ذكر أنواع العبادة بالتفصيل، كما أنه ليس له شريك في ملكه، هذا استدلال من الشيخ أخذًا بطريقة القرآن التي تقدمت، الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة.

قوله: « (إلا اللَّه) مُثْبِتًا العبادةَ للَّهِ وحدَهُ لا شريكَ لهُ في عبادتِهِ، كما أنَّه ليس له شريك في مُلْكِهِ».

الشرح: قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه»، لا أحد يستطيع أن يقول: له شريك في ملكه، يخلق معه ويرزق معه.

وتفسيرُها الذي يوضِّحُها قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقولُه تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾

قوله: «وتفسيرُها الذي يوضِّحُها قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]».

الشرح: «وتفسيرها الذي يوضحها» يريد أن يقول الشيخ: هذه الكلمة تفسرها آيات قرآنية كثيرة وذكر منها بعضها، تفسر لا إله إلا اللَّه في القرآن آيات قرآنية كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ هذه الآية هي معنى لا إله إلا اللَّه حتى في الترتيب ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ تقابل لا إله، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ تقابل إلا اللَّه، فقدم البراءة قبل الإثبات والإيمان، ؛﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وهذه الأمة من عقب إبراهيم عليه السلام، لأنه أبو الأنبياء، فبقيت الكلمة في جميع الأنبياء، وفي آخر الأمم هذه الأمة، بقيت كلمة لا إله إلا اللَّه بمعناها.

قوله: «وقولُه تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2]».

الشرح: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ بمعنى: لا إله إلا اللَّه، ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ أي: وحده، وهي كلمة لا إله إلا اللَّه تمامًا، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ

---

(١) [سورة الزخرف: ٢٦- ٢٨].

(٢) [سورة آل عمران: ٦٤].

ودليلُ شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ قولهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من أطاع العلماء أو المتبوعين أو المشايخ أو حتى مشايخ القبائل، من أطاعهم في سواليفهم الجاهلية البدوية في التحليل والتحريم فقد اتخذهم أربابًا من دون اللَّه.

لا تظنون عندما نقول: الحكم بغير ما أنزل اللَّه كفرٌ أن المراد بأن غير ما أنزل اللَّه هي القوانين المستوردة من الخارج فقط، لا، ولو حكم الإنسان بالعادات والتقاليد والسوا ليف المحلية في التحليل والتحريم، لا فرق بين ذلك وبين القوانين المنظمة التي تستورد من الخارج من الشرق والغرب، طالما صدر الحكم بغير ما أنزل اللَّه فهو حكم جاهلي، فهو كفر.

قد يقع أهل البادية في كثير من الأقطار في التحليل والتحريم بسواليفهم من حيث لا يشعرون، ويقعون في الحكم بغير ما أنزل اللَّه في بعض الأقطار وفي بعض الأجناس، مثلًا الإرث خاص بالرجال، وعند بعضهم الإرث للولد البكر فقط، هو الذي يرث الأب، المال كله له، وفي بعض الأقطار تحريم بنت العم وبنت الخالة، وبنت العمة جائزة، وهكذا تجد سواليف وعادات تحرم وتحلل، ومشايخ القبائل هم الذين يحكمون بذلك على جهل وإعراض عما جاء به الرسول ﷺ، كل ذلك حكم بغير ما أنزل اللَّه ومن الطواغيت.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قوله: «ودليلُ شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ قولهُ تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]».

الشرح: ﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: اختلف علماء التفسير هل الخطاب للعرب أو لجميع المسلمين؟

الجمهور أن الخطاب للعرب؛ لأنهم أول من وفد عليهم الإسلام، وهم يعتبرون

---

(١) [سورة التوبة: ١٢٨].

.....

أساتذة للمسلمين من غير العرب، أي: المسلمون من غير العرب تابعون للعرب، لذلك إذا عزَّ العرب وتمسكوا واهتدوا فالناس تبعٌ لهم، وإذا انحرفوا فالناس تبعٌ لهم أيضًا في الانحراف وهذا واقع.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من جنسكم، ليس بملك ولا بجني، ولو كان كذلك لاستوحشتم منه، ولكن رحمة منه ﷻ ولإقامة الحجة عليكم جعله منكم، يتكلم بلغتكم، تعرفون مَن هو وابن مَن هو، ومن أي قبيلة ومن أي بلد، تعرفون عنه كل شيء.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: يعزُّ عليه ما يوقعكم في العنت[1].

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾: حريص على هدايتكم وعلى إيمانكم وعلى استقامتكم.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾: قدم الجار والمجرور ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وأما بالنسبة لغير المؤمنين فالرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾[2] إنما هو رحمة للمؤمنين، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، بالمؤمنين فقط دون غيرهم، نأخذه من تقديم المعمول على العامل كما تقدم، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وصف نبيه -عليه الصلاة والسلام- بأنه رءوف رحيم، فالله ﷻ رءوف رحيم وكيف ذلك؟ وهل المخلوق يوصف بصفات الخالق؟

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾، ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾، كثيرٌ من الناس يرتبك في مثل هذا، فلتعلموا أن الاشتراك باللفظ وفي المعنى العام لا يضر، بل أمر لابد منه، الاشتراك باللفظ كالرحمة والرأفة والعلم والسمع والبصر، والسمع والبصر من أبرز صفات المخلوقين، وهي من صفات الخالق؛ صفات ذاتية، لكن هل ضر ذلك وهل

---

(١) العَنَتُ: دخول المشقة على الإنسان. «القاموس المحيط» للفيروزآبادي (٢٠٠) طبعة الرسالة، وفي الصحاح: العَنَتُ: الإثم، قال الأزهري في قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عزيز عليه عنتكم، وهو: لقاء الشدة والمشقة، وقال بعضهم: عزيز، أي: شديد، وما أعنتكم، أي: ما أوردكم العنت: المشقة. انظر «تاج العروس» (٥/ ١٢) تحقيق حجازي.

(٢) [سورة الفتح: ٢٩].

.....

أوقع ذلك في التشبيه والتمثيل ؟ لا ؛ لأن سمع اللَّه غير سمع المخلوق، أي: حقيقة سمع اللَّه غير حقيقة سمع المخلوق، حقيقة بصر الخالق غير حقيقة بصر المخلوق، كذلك حقيقة علم اللَّه ورحمته ورأفته وملكه وعزه وعظمته، كثيرًا ما يستنكر بعض الناس لماذا يسمى المخلوق ملك ؟ اللَّه ﷻ هو الذي يعطي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، الملك أو المالك كالعالم والسميع والبصير، هذه الأسماء إطلاقها على المخلوق لا يوقع في التشبيه.

وبالاختصار: الاشتراك إنما يقع قبل أن تضاف الصفات إلى الموصوفين، قبل أن تضاف صفات الخالق إلى الخالق وصفات المخلوق إلى المخلوق، [وهو من باب الاشتراك في المعنى العام المطلق وليس في الحقيقة، وهذا يسميه علماء الكلام (المطلق الكلي)، ويبقى هذا المطلق الكلي غير مضاف إلى اللَّه وغير مضاف إلى أحد من عباد اللَّه، والمطلق الكلي عندهم لا وجود له إلا في الذهن، بمعنى: الرحمة القائمة وحدها، والعلم والسمع القائم بنفسه ليس قائمًا بالخالق ولا بالمخلوق، ولا وجود له إلا في الذهن، أي: تتصوره تصورًا، لكن كونه موجودًا بالفعل فلا يكون إلا بالإضافة، تقول: رحمة اللَّه، وسمع اللَّه، وبصر اللَّه، وهذه الإضافة تسمى إضافة تخصيص، فلا أحد يشارك اللَّه في حقيقة سمعه وفي حقيقة بصره وهكذا سائر الصفات.

وكذلك فإن اللَّه ﷻ يُنَزِّهُ أن يشارك العبد في خصائص صفات العبد، فسمع العبد وبصر العبد من خصائصه أنه سمع محدث، وبصر محدث، وعلم محدث مخلوق، وهو علم غير محيط بجميع المعلومات، وَوُجِدَ بعد أن لم يكن، ويطرأ عليه النسيان والغفلة والذهول، وعلم يذهب في النهاية][1]، بمعنى هل تتصور علمًا قائمًا هكذا ؟ ليس علم زيد، ليس علم خالق ولا علم مخلوق ؟ علمٌ قائم بنفسه وحده لا وجود له، هذا يسمى (المطلق الكلي) الذي لا وجود له في الخارج إلا أن الذهن يتصور ذلك العلم، لكن إذا أضيف علم اللَّه إلى اللَّه، وسمع اللَّه إلى اللَّه، وبصر اللَّه إلى اللَّه، وعلم المخلوق إلى المخلوق، وسمعه إليه، وبصره ورحمته، لا اشتراك؛ لأن الإضافة خصصت.

---

(١) هذا من (ج).

.....

إذا قلت: علم اللَّه، علم خاص باللَّه بمواصفاته، علم محيطٌ بجميع المعلومات، علمٌ لم يسبق بجهل، علمٌ لا يطرأ عليه غفلة ولا نسيان، علمٌ قديم قدم الذات، هل علمٌ كهذا، هل يمكن أن يشترك فيه مخلوق ؟ لا، إذن اختص باللَّه.

إذا قلنا: علم زيد، علم زيد علم مكتسب مسبوق بجهل، قاصر غير محيط بجميع المعلومات، فاللَّه منَزَّه أن يشارك المخلوق في مواصفات وحقائق وخصائص علم المخلوق، وهذه النقطة لابد أن نقررها في كل مناسبة، وهي سبب انزلاق علماء الكلام، لما لم يستطيعوا التفريق؛ منهم من قال: الحق ألا نتصور إلا كما نتصور في المخلوق، إذن فصفات الخالق كصفات المخلوق، ومنهم من قال: إذا أردنا الحق ننفي الصفات، نثبت ذاتًا مجردة ليست موصوفة بصفات، انزلقوا جميعًا.

وهدى اللَّه أتباع محمد ﷺ الذين اقتدوا به وبأثره وسنته وبما جاء به، ولم يلتمسوا الحق في غير كتاب اللَّه، ولم يلتمسوا الهدى في غير سنة رسول اللَّه ﷺ، هداهم اللَّه وثبتهم على هذه الجادة، وللَّه الحمد والمنة.

ومعنى شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ: طاعتُهُ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ، واجتنابُ ما عنْهُ نهى وزَجَرَ، وألا يعبدَ اللَّهَ إلاَّ بما شَرَعَ.

قوله: «ومعنى شهادةِ أنَّ محمدًا رسولُ اللَّهِ: طاعتُهُ فيما أَمَرَ، وتصديقُهُ فيما أَخْبَرَ».

الشرح: «طاعته فيما» إما تعتبرها مصدرية: طاعته في أمره، أو تعتبرها موصولة: طاعته في كل الذي أمر؛ (ما) الموصولة من صيغ العموم في كل ما أمر به، [وتجب طاعته لأنه رسول من عند اللَّه ولأنه أمرك بأمر من أرسله وهو اللَّه ﷻ، لأن الأمر ليس من عنده بل هو من عند اللَّه، وهو لا يشرع من عنده ولكن من عند اللَّه، لأنه لا ينطق عن الهوى، فلهذا يجب طاعته الطاعة المطلقة كما سبق][1]؛ [«وتصديقه فيما أخبر» أي: بدون توقف، إذا أخبر خبَرًا فلا يجوز لك أن تعرض أخباره على عقلك كما يفعل العقلانيون اليوم، وكما فعل علماء الكلام قبل ذلك، وهؤلاء يردون الأحاديث إذا ما وافقت عقولهم، ولا يجوز إيقاف تصديق خبره -عليه الصلاة والسلام- على موافقة العقل ومن فعل ذلك فهو متبع لعقله ولم يتبع رسول اللَّه ﷺ][2].

قوله: «واجتنابُ ما عنْهُ نهى وزَجَرَ، وألا يُعبدَ اللَّهَ إلاَّ بما شَرَعَ».

الشرح: هذه الفقرة الأخيرة مهمة جدًّا؛ لأن كثيرًا من الناس قد يطيع الرسول ولا يكذبه، وقد ينتهي عن كثيرٍ من المنهيات ويمتثل الأمر، لكن عند عبادة اللَّه تعالى لا يتقيد بما جاء به النبي ﷺ، من هنا يقع في الابتداع، يعبد اللَّه ويتخبط في عبادته، فلا يتقيد بالسنة.

مثال ذلك: تجد بعض الناس يركعون في أوقات النهي فيصلون نوافل مطلقة، أو يزيدون عدة ركعات بعد أذان الفجر، إذا قلت له: يا أخي لا يشرع إلا ركعتا الفجر بعد الأذان، وفي مثل هذا الوقت الصلاة منهيٌّ عنها، يقول لك: لا، هذه للَّه، بس للَّه، طيب والتي قبلها؟ من الفرائض التي صليتها ما هي للَّه؟! هذا جهل، يحسب مادام أنها صلاة

---

(١) هذا من (ج).
(٢) هذا من (أ).

.....

فيها ركوع وسجود فهي تصح في أي وقت وكيفما جاءت وهذا من الجهل.

يقول العلامة ابن القيم [١] رَحِمَهُ اللَّهُ: الإنسان الذي يعبد اللَّه بغير السنة، أي: غير متقيد بالسنة كالذي يحمل جرابًا مليء رملًا حمله على رأسه فسافر به [٢] فإذا وصل إلى حيث شاء وفتح الجراب ماذا يرى؟! يرى رملًا، لا يرى سكرًا ولا أرزًا ولا طعامًا ماذا يفعل؟ لما وصل لم يتمكن من الاستفادة من الجراب الذي حمله على رأسه؛ كذلك من يكثر من العبادة على جهل دون تقيد بهدي محمدٍ -عليه الصلاة والسلام-، إذا وصل يوم يصل يجد أنه لا شيء عنده، لا يقبَل وكيف يُقبَل؟

وهل بعث اللَّه محمدًا -عليه الصلاة والسلام- عبثًا؟ بعثه إلينا لنتبعه، لنسير إلى اللَّه على طريقته، ليقودنا إلى اللَّه، أما إذا تركنا قيادته وفتحنا لنا الطرق من هنا ومن هنا، تركنا الجادة وسلكنا بُنيَّات الطريق، فالنهاية الضياع.

فكثيرٌ من العباد على جهل، وخصوصًا الذين تربوا في أحضان المتصوفة، لا يعرفون مكانة السنة، يحسبون أن السنة صحيح البخاري وصحيح مسلم يُقرآان للتبرك في رمضان، يُختم في بعض المساجد صحيح البخاري في شهر رمضان سردًا، والشيخ جالس تحت العمود يقول: نعم، نعم؛ ويسرد الطلاب، وهكذا حتى يختم، ويعملون حفلًا على ختم البخاري تبركًا، لم يستفيدوا حكمًا واحدًا، لا حكمًا فقهيًّا ولا عقيدة مما في هذا الكتاب العظيم: (صحيح البخاري)، يخرجون صفر اليدين، وأمثال هؤلاء لا يعرفون مكانة السنة، هذه هي السنة عندهم، نسأل اللَّه لنا ولكم السلامة.

---

(١) هو الإمام المحقق الحافظ الأصولي الفقيه النحوي شمس الدين أبو عبد اللَّه محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي المشهور بـ: ابن قيم الجوزية، ولد سنة (٦٩١) وتوفي سنة (٧٥١هـ). انظر كتاب: «ابن قيم الجوزية حياته وآثاره وموارده» للشيخ بكر أبو زيد -حفظه اللَّه-.

(٢) قال العلامة ابن القيم: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه». كتاب الفوائد (ص٧٣) تحقيق فواز زمرلي.

ودليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، وتفسيرُ التَّوحيدِ قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

ودليلُ الصيام قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

قوله: «ودليلُ الصلاةِ، والزكاةِ، وتفسيرُ التَّوحيدِ قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1]».

الشرح: ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين من الشرك إلى التوحيد وإلى الإخلاص، أمروا بهذا، جميع الناس، جميع العباد، وليقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة، الدين المستقيم والطريق المستقيم الموصل إلى اللَّه تعالى أن تخلص للَّه في العبادة، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وكل ذلك بالإخلاص واتباع السنة.

قوله: «ودليلُ الصيام قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[2]».

الشرح: من أين نأخذ الوجوب؟ لفظة: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾، هذه الجملة تفيد الوجوب، أن اللَّه أوجب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، أما الذين قبلنا كيفية صيامهم لا نعلم، إنما نشترك في الجملة في وجوب الصيام علينا، نعلم صيامنا بالتفصيل، ولكن صيام من قبلنا لا نعلمه بالتفصيل، ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي: لكي يكون الصيام وقاية بينكم وبين عذاب اللَّه وغضبه؛ لأن الصيام يكون سببًا للتقوى، لأنه يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل اللَّه، لذلك أضاف اللَّه الصيام إلى نفسه: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي»[3] إضافة عظيمة.

---

(١) [سورة البينة: ٥].
(٢) [سورة البقرة: ١٨٢].
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم، باب هل يقول: إني صائم إذا شُتِمَ (٢/ ٣١)، ومسلم في صحيحه كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٢/ ٨٠٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به...» الحديث.

ودليلُ الحجِّ قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

قوله: «ودليلُ الحجِّ: قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]».

الشرح: نأخذ من لفظة: «على» الوجوب، وهذه الآية عند كثير من أهل التفسير نزلت في السنة التاسعة من الهجرة، أي: أوجب الله علينا الحج في السنة التاسعة من الهجرة النبوية، فبادر النبي -عليه الصلاة والسلام- بالتطبيق، بأن مهد لحجه في العام العاشر بإرسال وفد يطهر مكة من الأصنام ومن المشركين وممن يطوف بالبيت عريانًا، ويعلن في مكة أن حج النبي ﷺ في العام المقبل في السنة العاشرة.

﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فمعنى الاستطاعة عند الفقهاء: الزاد والراحلة[2]، وإن كان الحديث فيه مقال، ولكن معناه سليم، تشهد له نصوص الكتاب والسنة.

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: قد يستدل بعض الناس على أن ترك الحج مع الاستطاعة كفر، ولكن الذي عليه الجمهور أن هذا كفرٌ عملي وليس كفرًا اعتقاديًّا، أي: من ترك الحج مع الاستطاعة يأثم إثمًا كبيرًا، وتثبت مصاريف الحج في تركته، فتخرج مصاريف الحج من تركته، ولم يصل إلى الشرك الأكبر ولا يصل إلى الشرك الأكبر إلا بالجحود، طالما يؤمن بوجوبه، إذا قصر فيكون كفره كفرًا دون كفر.

---

(١) [سورة آل عمران: ٩٧].

(٢) أخرج الترمذي في الجامع أبواب الحج عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة (٢/ ١٦٦)، وابن ماجه في السنن كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج (٤/ ٤٠١) عن ابن عمر قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما يوجب الحج؟ قال: الزاد والراحلة...» الحديث، وضعفه الإمام الألباني في ضعيف سنن الترمذي برقم (٨١٣)، انظر الإرواء (٤/ ١٦٠).

المرتبة الثانية: الإيمانُ.

قوله: «المرتبة الثانية: الإيمانُ».

الشرح: الإيمان كما تقدم أضيق من الإسلام، والذي بعده الإحسان أضيق بأكثر، يجب أن نقف عند الإيمان لنعرف اختلاف أهل العلم في حقيقة الإيمان، ليتبين لنا أننا بحاجة إلى تحقيق الإيمان نفسه، الإيمان الذي هو كل شيء عندنا لم يسلم من الاختلاف، ما هو الإيمان؟

١- الإيمان عند بعض علماء الكلام[١] مجرد المعرفة أي: معرفة اللَّه تعالى، والكفر عندهم الجهل، هذا ما ذهب إليه الجهم بن صفوان[٢]، وعلى هذا لا يوجد كافرٌ إلا من هو جاهل، ولا يوجد أجهل باللَّه من جهم بن صفوان، لذلك يقال: إنه حكم على نفسه بالكفر من حيث لا يشعر حيث قال: إن الإيمان هو المعرفة، وأن الكفر هو الجهل، وإذا تتبعنا عقيدته نجده أجهل الناس باللَّه، إذن هو كافرٌ بشهادة نفسه على نفسه.

اللَّه ﷻ في نظر جهم بن صفوان والجهمية لا يوصف بصفة، ولا يسمى باسم، أي: وجود اللَّه ﷻ عندهم وجود ذهني ليس له وجود خارجي، الوجود المطلق، لأن الموجود في الخارج لابد أن يوصف بصفة، الذي لا يوصف بصفة هو العدم، الموجود لابد له من صفة، فإذا نفوا عنه جميع الصفات وجميع الأسماء شبهوه بالمعدوم الذي لا

(١) هم المنتسبون إلى علم الكلام وهم عدة أصناف ومن أشهرها: الجهمية، الأشاعرة، المعتزلة، الكلابية، الماتريدية، قال الإيجي في المواقف: والكلام علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه. وأجمع السلف على ذم الكلام وأهله. انظر هامش مختصر الصواعق المرسلة لـ: حسن العلوي(١/ ٢٢).

(٢) الجهم بن صفوان: أبي محرز السمرقندي الراسبي الضال المبتدع قتل سنة (١٢٨)، هالك كان في زمن صغار التابعين، قاله عنه الذهبي في الميزان وقال: ما علمته روى شيئًا لكنه زرع شرًّا عظيمًا، وتنسب إليه الجهمية وهي فرقة ضالة من عقائدهم: نفي أسماء اللَّه -تبارك وتعالى- وصفاته، وأن كلامه مخلوق وعلمه وقدرته كذلك، وأن الإيمان هو المعرفة باللَّه والكفر هو الجهل باللَّه، وأن الجنة والنار تفنيان وتبيدان، وأنكروا رؤية اللَّه ﷻ بالأبصار في الآخرة، وجحدوا الشفاعة لأهل الكبائر. انظر الفَرْق بين الفِرَق (٢١١)، والبرهان للسكسكي (٣٤)، وميزان الاعتدال (١/ ٤٢٦).

.....

يوصف بأي صفة، لأنه معدوم، وعلى هذا جهم بن صفوان هو من أكفر الكافرين، بشهادة نفسه على نفسه، إذ الإيمان عنده المعرفة والكفر الجهل.

٢- **القول الثاني لأهل الكلام في الإيمان:** الإيمان هو التصديق فقط، مجرد التصديق بالقلب، بصحة ما جاء به رسول اللَّه ﷺ، ولو لم ينطق باللسان، ولو لم يقر بشهادة أن لاإله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه طالما ادعى أنه صدق رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- فيما جاء به فهو مؤمن.

٣- **القول الثالث:** الإيمان هو التصديق والإقرار معًا، أن يصدق بقلبه ويقر بلسانه، هؤلاء جميعًا يقال لهم: المرجئة[١]، ومرجئة الفقهاء أصل منبتهم من الكوفة، لأن هذا القول بأن الإيمان هو التصديق أو التصديق والإقرار معًا قول الإمام أبي حنيفة[٢] وتبعه في ذلك جميع الكوفيين، ثم انتقل هذا المذهب من الماتريدية[٣] إلى الأشاعرة[٤]،

---

(١) المرجئة: اسم فاعل من الإرجاء وهو لغة: التأخير كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ أي: أخره وأمهله، وسموا بذلك لأنهم يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان لكونهم يزعمون أن الإيمان هو المعرفة فقط، وقولهم كذلك: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا تنفع مع الكفر طاعة؛ لأنه شيء واحد لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل أهله فيه، وهم أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، والقدرية، والجبرية، والمرجئة الخالصة. انظر المقالات للأشعري (١/ ٢١٣)، والبرهان للسكسكي (٣٣).

(٢) هو الإمام فقيه الملة عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي الكوفي مولى بني تيم ولد في سنة (٨٠ هـ) في حياة صغار الصحابة، ولم يثبت له حرف عن أحد منهم، وكان إليه المنتهى في الفقه والرأي وغوامضه والناس عيال عليه في ذلك، وقد توفي سنة (١٥٠ هـ) رحمه اللَّه تعالى. انظر السير (٦/ ٣٩٠).

(٣) الماتريدية: نسبة إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، كان يلقب بإمام الهدى وإمام المتكلمين، والماتريدي نسبة إلى ماتريد وهي محلة قرب سمرقند، ولد سنة (٢٣٨ هـ) وتوفي سنة (٣٣٣ هـ)، ودفن في سمرقند. وهي فرقة من فرق أهل الكلام وهي شقيقة الأشعرية، من معتقداتهم: أن الإيمان عندهم مجرد التصديق بالقلب دون الإقرار باللسان ولا يجوز الاستثناء فيه، ويثبتون سبع صفات ويقولون: لدلالة العقل عليها، ويقولون أن كلام اللَّه ليس بحرف ولا صوت بل هو كلام نفسي وغير ذلك من العقائد الباطلة. انظر كتاب الماتريدية لـ: أحمد الحربي.

(٤) الأشاعرة: فرقة من فرق أهل الكلام وتشبه كثيرًا في معتقدهم الماتريدية، ومن معتقداتهم: الإيمان هو التصديق، وقولهم في القدر موافق لقول الجبرية، ويقولون: إن اللَّه يُرى لا في مكان، وهم المنتسبون إلى الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ولد سنة ٢٦٠، ومات سنة ٣٢٤) في مذهبه الثاني مذهب=

فصار الإيمان عند جمهور الأشاعرة والماتريدية هو التصديق، وإن توسعوا إلى التصديق والإقرار، الإقرار محل خلاف عندهم، القول الصحيح أن الإيمان عندهم التصديق.

وعلى هذا؛ جميع الأعمال الإسلامية التي في الكتاب والسنة ليست من الإيمان في شيء عند هؤلاء، أخرجوا الأعمال كلها من الإيمان، هذا هو معنى الإرجاء، الإرجاء معناه التأخير، أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، لم يدخلوا الأعمال كلها في الإيمان، بل الإيمان إما مجرد التصديق أو التصديق والإقرار، هذا الذي عليه جمهور الأشاعرة، وما عليه أكثرهم، وهو في الأصل عقيدة الماتريدية التابعين للإمام أبي حنيفة، في هذه المسألة خالف الإمام أبو حنيفة الجمهور، جمهور أهل السنة والجماعة بما فيهم الأئمة الثلاثة وغيرهم.

ولكن الذي ينبغي أن يفهمه طلاب العلم: أن الإرجاء الذي هو عقيدة أبي حنيفة ومن تبعه غير إرجاء علماء الكلام، لذلك يسمون هؤلاء مرجئة الفقهاء.

مرجئة أهل الكلام يرون أنه لا يضر مع الإيمان ذنبٌ، ويرون أن الناس لا يتفاوتون في الإيمان، وأن إيمان الأنبياء ومن بعدهم واحد، لأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص عندهم، حقيقة واحدة، هؤلاء مرجئة أهل الكلام، ولكن مرجئة الإمام أبي حنيفة ومن تبعه لا يَصِلون إلى هذه الدرجة، وإن أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان، وعلى كلٍّ هذا المذهب خطأ.

والصواب: هو ما عليه الجمهور، لا لجمهرتهم وكثرتهم ولكن لكون الدليل معهم من الكتاب والسنة، كتاب اللَّه ينطق ويدخل ويعد الأعمال من الإيمان كذلك السنة، إذا قرأنا قوله تعالى في أول سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ

= ابن كلاب واختيار بعض أقواله، وهو قد رجع عن هذا المذهب وعن مذهب الاعتزال والتزم مذهب أهل السنة والجماعة وصرح أنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل كما في الإبانة (٢٠). انظر هامش مختصر الصواعق المرسلة لـ: حسن العلوي (١/ ١٤٥) بتصرف.

يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[١] عدَّ اللَّه في هذه الآية أعمال القلوب وأعمال الجوارح من الإيمان، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هذا من أعمال القلوب ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ من أعمال القلوب ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ من أعمال الجوارح؛ إذن أعمال القلوب وأعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان، وعلى هذا يكون التصديق تصديقًا خاصًّا[٢].

وأخذ المرجئة الإيمان اللغوي الذي هو مجرد التصديق وأخطئوا في ذلك؛ لأن المراد بالتصديق هنا هو التصديق الشرعي، لا التصديق اللغوي، المعنى اللغوي دائمًا أعم وأشمل من المعنى الشرعي والاصطلاحي.

الإيمان في اللغة: مجرد التصديق، أي شيء صدقته يسمى إيمانًا[٣].

وفي الشرع: تصديق خاص بما جاء به النبي ﷺ تصديقًا تصدقه الأعمال، لأن تصديق القلب وإن لم يوجد دليلٌ على صحته يعتبر دعوى، ومن ادعى أنه صدق رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- في كل ما جاء به ثم ترك العمل، لا يعمل شيئًا من أعمال الإسلام، من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك، لا يعمل ويقول: أنا مؤمن لأني مصدق، نقول له: ائت بالدليل على تصديقك القلبي، ما الذي يصدقك؟ أعمال الجوارح هي التي تصدق ذلك التصديق، وتشهد بصحة ذلك التصديق، ومن ادعى بأنه مصدقٌ بقلبه بكل ما جاء به رسول اللَّه ﷺ ثم لا يعمل؛ يقال له: هذه دعوى والدعوى لابد لها من بينة فأين البينة؟ البينة الأعمال، لذلك يقول بعضهم:

وإذا حلت الهداية قلبًا ... نشطت في العبادة الأعضاءُ

فإذا كانت الأعضاء لا تعمل، لا يصلي ولا يصوم ولا يأمر ولا ينهى ولا يجاهد ولا

---

(١) [سورة الأنفال: ٢-٣].

(٢) وللاستفادة في هذه المسألة راجع في ذلك كتاب: «زيادة الإيمان ونقصانه» لشيخنا الشيخ عبد الرزاق بن الشيخ عبد المحسن العباد البدر -حفظهما اللَّه تعالى- (ص٣٢٥).

(٣) تنبيه: نبه شيخ الإسلام ابن تيمية على ضعف هذا القول، وأن تعريف الإيمان في اللغة بالتصديق مردود من وجوه عديدة، وأن أقوى ما يقال في تعريفه أنه الإقرار. انظر كلامه في كتاب الإيمان (٢٢٧ وما بعدها) تحقيق الشيخ الألباني.

يطلب العلم، هكذا مصدق، لا يُقبل مثل هذا التصديق، وهذا انتشر بين المسلمين، وهذا هو الإيمان الإرجائي، لذلك لو أمرت إنسانًا أو نصحته أو نبهته على ما فعل فإنه يقول لك: الإيمان في القلب هنا الإيمان ويشير إلى قلبه، والإيمان الذي هنا لو صح لظهر أثره في أعضائك وجوارحك ولست بصادق، تترك الصلاة فيقال لك: صلِّ، فتقول: لا، الإيمان هنا في القلب، ليس بصحيح، وعلى هذا كيف تحاججون الذين يريدون أن يتنازعوا والذين يحكمون بغير ما أنزل الله، تقولون لهم: أنتم حكام غير مسلمين، فيقول لك: أنا مسلم لأني أقول لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأنا مصدق وأنت معي في هذا التعريف يحاجك، لكن متى تستطيع أن تقنعه أنه ليس على الإسلام، إذا عرفت الإيمان بالتعريف الصحيح، فما هو الإيمان؟

الإيمان عند أهل السنة والجماعة: تصديق بالقلب وعمل بالجوارح وقول باللسان، والتصديق الذي في القلب يشهد بصحته النطق باللسان، بقولك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وتصدق كل ذلك الأعمال، الأعمال الجارية على وفق ما جاء به رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

إذن الإيمان مركب يتألف من أجزاء، من تصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، وقول باللسان، ولهذا يشهد الكتاب والسنة، وقد سمعنا من الكتاب الآية (آية الأنفال)؛ واسمع قول رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وستون شعبة**- رواية البخاري: - **أعلاها قول لا إله إلا الله**»[1] جعل النطق باللسان من الإيمان، وأعلى درجات الإيمان، هذا مما يذكر في فضل لا إله إلا الله، هذه الكلمة ركن في الإيمان، وركن في الإسلام، وأفضل الذكر، كلمة عظيمة إذا جئت تعدد الإسلام فهي في الطليعة، وإذا جئت تعدد شعب الإيمان فهي في المقدمة، وإذا جئت تعرف أفضل الذكر بعد القرآن فهي لا إله إلا الله، كلمة عظيمة إذا فُهِمَ معناها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان (١/ ٢٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان شعب الإيمان (١/ ٦٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». واللفظ لمسلم.

وهو بضع وسبعون شعبة فأعلاها: قول لا إله إلا اللَّه، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

قوله: « وهو بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا اللَّه ».

الشرح: قال رسول اللَّه ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها: لا إله إلا اللَّه، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق»[1]، وهنا يرد سؤال، قال -عليه الصلاة والسلام-: «أعلاها لا إله إلا اللَّه» ولم يقل: محمدٌ رسول اللَّه، فهل يكفي أن نقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وكفى؟ لا، ولو لم يذكر الجزء الثاني فكأنه مذكور، لأن لا إله إلا اللَّه محمدٌ رسول اللَّه كالجسم والروح لا يفترقان، لا ينفع قول لا إله إلا اللَّه بدون محمد رسول اللَّه، أي: الشهادة بالوحدانية لا تجزئ ولا تنفع حتى تشهد بالرسالة، ولو شهدت بالرسالة ما نفعت الشهادة حتى تشهد قبل ذلك بالوحدانية، هما شيئان في الظاهر، ولكنهما شيء واحدٌ في الحقيقة؛ إذ بينهما تلازم لا يفترقان.

لذلك إذا جاء في بعض الأحاديث ذكر لا إله إلا اللَّه ولم يذكر شهادة أن محمدًا رسول اللَّه كما في هذا الحديث، فليعلم أن ذلك اكتفاءً بالمعلوم، لأنه من المعلوم أن لا إله إلا اللَّه وحدها لا تغني إلا بإضافة محمد رسول اللَّه، وهي تسمى بجملتها كلمة التوحيد، وكلمة الإسلام، وكلمة الإيمان، ومفتاح الجنة.

قوله: « وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان ».

الشرح: «وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق»، إماطة الأذى عن الطريق عملٌ من أعمال الجوارح، جعل النبي -عليه الصلاة والسلام- ذلك من الإيمان، ومن تمام إيمانك: أن تحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك، وأن تكره له ما تكره لنفسك[2].

---

(١) سبق تخريجه صفحة رقم (٨٥).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (١/ ٢١)، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الدليل أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير (١/ ٦٧) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه -أو قال: لجاره- ما يحب لنفسه».

«أعلاها: لا إله إلا اللَّه، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، وبين أعلاها وأدناها شعب تتفاوت، الصلاة شعبة من الإيمان، الجهاد شعبة من الإيمان، الزكاة شعبة من الإيمان، وطلب العلم شعبة من الإيمان، إذن الإيمان يتألف من شعب كثيرة، وليس مجرد التصديق وليس مجرد الإقرار.

لذلك فلنسمع هذا التعريف الذي شرح الإيمان من كلام ابن القيم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإيمان هو حقيقةٌ مركبةٌ من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا، وتصديقه عقدًا، والإقرار به نطقًا، والانقياد له محبة وخضوعًا، والعمل به ظاهرًا وباطنًا، وتمثيله والدعوة إليه بحسب الإمكان؛ وكماله: في الحب في اللَّه والبغض في اللَّه، والعطاء للَّه والمنع للَّه، وأن يكون اللَّه وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه: تجريد المتابعة لرسول اللَّه ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى اللَّه ورسوله ﷺ»[1]، وهذا هو الإيمان، الإيمان مركب.

ومما ينتقده علماء الكلام على أهل السنة يقولون: كيف يكون الإيمان مركبًا؟ لأن المركب إذا أزيل بعض أجزائه زال كله، وهذا غير صحيح، ما الذي يَرُدّ على هذا؟ يَرُدّ عليه الحديث السابق الذكر: «الإيمان بضع وستون شعبة»؛ لأن النبي ﷺ جعل الشُّعب متفاوتة، الشعبة الأولى هي التي يزول الإيمان بزوالها، إذا زالت الشعبة الأولى -شعبة لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه- زال الإيمان كله، لا يبقى شيء، وهل إذا ترك الشعبة الأخيرة كأن مر الإنسان في الطريق على الأذى فلم يزله، هل يزول إيمانه؟ لا، الشعب الأخرى غير الشعبة الأولى، بزوالها ينقص الإيمان بقدر ما يترك الإنسان شعبة من الشعب، وبقدر ما يرتكب من المحرمات والمعاصي ينقص إيمانه ولا يزول.

وإنما يزول بزوال كلمة التوحيد والكفر بها والإتيان بما يناقضها، ليس معنى زوالها أنك تقول: أنا لا أعترف أنه لا إله إلا اللَّه، لا، قد تقول بلسانك: لا إله إلا اللَّه، وتأتي بما يناقضها؛ لأن للإسلام نوا قض كما أن للوضوء نواقض، فلو قال رجل مائة مرة بعد هذه السبحة لا إله إلا اللَّه ثم إذا اشتدت به الأمور قال: أغثني يا فلان ما لي سواك يا

(١) كتاب الفوائد لابن القيم (ص١٥٦) تحقيق: فواز زمرلي.

.....
.....

فلان! انتقض توحيده تمامًا، لا يبقى عنده شيء، هو كافر، نفى اللَّه الذي كان يقره بلسانه، هنا يزول الإيمان، لكن إذا ترك شعبة من الشعب كأن قلّ حياؤه فارتكب معصية فإنه ينقص إيمانه ولا يزول كليًّا، فليفهم هذا جيدًا.

وقد يستدل عليك من يرى بأن الأعمال ليست من الإيمان، يستدل بالعطف الذي جاء في القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فيقول: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ العطف يقتضي المغايرة، إذن الأعمال الصالحة غير الإيمان، لأن اللَّه عطف الأعمال الصالحة على الإيمان، الأعمال الصالحة هي الإسلام، فالعطف يقتضي المغايرة كأن تقول: جاء زيدٌ وعمروٌ، فبينهما مغايرة، أو تقول: جاء زيدٌ وذهب عمروٌ، فجاء غير ذهب، وزيدٌ غير عمرٍو، فصح العطف هنا فاقتضى المغايرة.

فإذا قال لك: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يدل على أن الأعمال الصالحة غير الإيمان، تقول: المغايرة درجات، صحيح أن العطف يدل على المغايرة، ولكن المغايرة درجات، ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ أليست الصلاة الوسطى من الصلوات؟ فكيف صح هنا؟ ما معنى المغايرة؟ الجواب: من باب عطف الخاص على العام، كذلك العطف هنا أي في قوله: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من باب عطف الخاص على العام، لأن الأعمال الصالحة جزء من الإيمان، كما أن الصلاة الوسطى جزء من الصلوات التي أمرنا بالمحافظة عليها، والأمثلة كثيرة في القرآن.

وأركانه ستة: أن تؤمن باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾.

ودليل القدر: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾.

قوله: «وأركانه ستة: أن تؤمن باللَّه وملائكته».

الشرح: أن تؤمن وتصدق وتسلم للَّه، تؤمن للَّه بوجوده، بربوبيته، بألوهيته، وبأسمائه وصفاته، وتؤمن بالملائكة بأنهم موجودون، جندٌ من جنود اللَّه تعالى، من سمعت وعلمت أسماءهم آمنت بهم بالتفصيل، ومن لا فبالجملة.

قوله: «وكتبه».

الشرح: والكتب المنزلة بما في ذلك القرآن، وتؤمن بأن الكتب المنزلة كلها كلام اللَّه وليست مخلوقة كما يقول علماء الكلام بما فيهم الأشاعرة، القرآن والتوراة والإنجيل والزبور هذه الكتب من كلام اللَّه، لأن كلام اللَّه لا نفاد له: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1] كلام اللَّه لا نهاية له، اللَّه خاطب نوحًا، وكلم موسى، وكلم محمدًا ﷺ في أماكن وفي أزمنة مختلفة، ويتكلم آخر كل ليلة، يقول عندما ينزل إلى السماء الدنيا: «هل من مستغفرٍ فأغفر له؟»[2] هذا كلام اللَّه، ويتكلم الرب ﷻ يوم القيامة عندما يأتي لفصل القضاء، ويسلم على أهل الجنة ويخاطبهم من فوقهم، كل ذلك من كلام اللَّه، وكلام اللَّه لا نفاد له.

لذلك اعتقاد أن كلام اللَّه معنًى واحدٌ قائم بذات اللَّه ليس بحرف ولا صوت كما

---

(١) [سورة الكهف: ١٠٤].

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (١/ ٣٥٦)، ومسلم في الصحيح كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل (١/ ٥٢١) عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «ينزل ربنا -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟».

.....

تقول الأشاعرة، هذا ضلال مبين؛ لأن في ذلك إنكار أن هذا القرآن كلام اللَّه، وقد وافقت الأشاعرة المعتزلة في القول بأن القرآن كلام اللَّه، تناقضوا في ذلك مع دعوى أنهم خصوم للمعتزلة.

بالنسبة للكتب السماوية نؤمن بأنها من عند اللَّه تعالى، وأما هذا القرآن فنؤمن بأنه من عند اللَّه، ونتخذه دستورًا نحكم به ونتحاكم إليه، ونسير إلى اللَّه في ضوئه، فهو الحكم، وهو كتاب العقيدة، وهو كتاب التوحيد، وكتاب العبادة، وكتاب الأحكام، وكتاب الأخلاق، وكتاب السياسة، وكتاب الاقتصاد، وكتاب كل شيء، إذا فهم وعمل به، هذا الفرق بين إيماننا بالكتب السماوية وبين إيماننا بالقرآن، الكتب السماوية لا يجب علينا العمل بها، لأنها نسخت وانتهت بنزول القرآن، الكتاب الذي يجب الإيمان به والعمل به هو هذا القرآن العظيم، وهو كلام اللَّه حقيقة، لأن اللَّه سماه كلامًا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1]، ذلك الكلام الذي تلاه الرسول ﷺ على المشركين فسمعوه هو هذا القرآن الذي بين دفتي المصحف.

تقول عائشة رضي الله عنها: «ما بين دفتي المصحف كلام اللَّه»[2]، ولكن الأثر لم يسلم من تأويل الأشاعرة، قالوا: أي خلقٌ من خلق اللَّه مخلوق للَّه، الأشاعرة الذين يقولون: نحن من أهل السنة والجماعة هم الذين أولوا هذا التأويل! فانتبهوا للأشاعرة -عفا اللَّه عنا وعنهم-.

قوله: «ورسله».

الشرح: الإيمان بالرسل يقال فيه ما قيل في الإيمان بالكتب، بالنسبة للرسل الذين قبل نبينا محمد -عليه الصلاة والسلام-، المراد بالإيمان بهم: أن تصدقهم بأنهم رسل اللَّه، معصومون، بلغوا رسالة اللَّه، ولكن الرسول الذي يجب اتباعه ولا يعبد اللَّه إلا

(١) [سورة براءة: ٦].

(٢) قال الإمام الألباني في الإرواء: لم أقف على إسناده (٢٥٥٩)، وكذلك أنا لم أقف على كتاب أسنده، وكثيرًا ما يذكر في كتب الفقهاء، في باب الأيمان (الحلف بالمصحف) انظر منار السبيل (٣/ ٣٢٠)، واللَّه المستعان.

.....

بما جاء به هو محمدٌ رسول اللَّه ﷺ، لأنه جاء بالرسالة الخاتمة العامة، لا يسع جنيًّا ولا إنسيًّا لا يهوديًّا ولا نصرانيًّا إلا الإيمان بهذا النبي الكريم بعد أن بُعِثَ، لأنه خاتم النبيين -عليه الصلاة والسلام-.

قوله: « واليوم الآخر ».

الشرح: الإيمان باليوم الآخر، اليوم الآخر يبدأ من عند الموت «**من مات فقد قامت قيامته**»[1]، من حين أن ينقل هذا الإنسان من وجه هذه الأرض إلى باطنها فهو في اليوم الآخر، يعني الحياة البرزخية الفاصلة بين هذه الحياة التي نحن فيها الآن وبين الحياة التي بعد البعث تابعة ليوم الآخرة.

يجب الإيمان باليوم الآخر وما يجري في القبر من العذاب، وما يجري على المؤمنين من النعيم، لأن: «**القبر إما حفرة من حفر النار، أو روضة من رياض الجنة**»[2] يجب الإيمان بكل ذلك تصديقًا لرسول اللَّه ﷺ.

قوله: «وبالقدر خيره وشره».

الشرح: بمعنى أنه ما شاء اللَّه كان، وما لم يشأ لم يكن، ما أصابك في علم اللَّه لا يخطئك، وما أخطأك في علم اللَّه لا يصيبك، إيمانك بأن ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن هذا المقدار يكفي في باب الإيمان بالقدر، دون الخوض؛ لأن هذا الباب بابٌ خطير، والبحث عن أسرار القضاء والقدر يعتبر سرًّا من أسرار اللَّه، لذلك يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «القدر سر اللَّه فلا تكشفه»[3] أي: ليس لك أن تسأل لِمَ فعل الرب ﷻ

---

(١) يروى عن أنس مرفوعًا: «**إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته، فاعبدوا اللَّه كأنكم ترونه واستغفروه كل ساعة**». ولكنه حديث موضوع كما بين ذلك الإمام الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٥٤٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (٣/ ٢٤٧) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**»، قال أبو عيسى: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الإمام الألباني رحمه الله: ضعيف جدًّا، انظر ضعيف سنن الترمذي (٢٤٦٠)، وانظر السلسلة الضعيفة (٤٩٩٠).

(٣) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/ ٨٤٤) رقم (٤٢٢) طبعة الرسالة، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/ ٦٢٩) رقم (١١٢٣)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ١٤٠) رقم (١٥٨٣): أن رجلًا سأل عليًّا فقال: =

.....

هكذا ؟ لِمَ خلق ؟ ولِمَ أحيا؟ ولِمَ أمات ؟ ولِمَ جعلَ زيدًا غنيًّا وعمرًا فقيرًا؟ ولِمَ أمرض فلانًا؟ ولِمَ ولِمَ؟ هذا خوض في سر من أسرار اللَّه، سر لا يدرك، لا يسأل عما يفعل؛ كما أنه لا يجوز في باب الأسماء والصفات أن تسأل بكيف هو ؟ وكيف سمعه ؟ وكيف بصره ؟ وكيف استواؤه ؟ وكيف مجيئه ؟ وغيرها، لا يجوز في باب القضاء والقدر، لا يجوز السؤال بـ(لِمَ).

انتبه لهذا؛ لأن هذا منزلق الأقدام، يكفي للعامة والخاصة أن يؤمنوا بأنه لا يقع في ملكه إلا ما شاء، وأن اللَّه علم كل شيء فكتبه، كل المقادير معلومة ومكتوبة، ثم قضى اللَّه ﷻ قضاءه على ما علم وكتب، ونحن نجري تحت القضاء والقدر.

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ لما سئل عن القدر:

ما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكنْ

خلقتَ العباد على ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتى والمسنّْ

على ذا منتَ وهذا خذلتَ ... وهذا أعنت وذا لم تُعِنْ

ومنهم شقيٌّ ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسنْ[1]

ويأتي هنا سؤال الجبري: هل معنى ذلك أن العبد مجبور ؟ لا. خلق العباد، وخلق لهم القدرة، وخلق لهم الإرادة، وخلق له الاختيار، وأرسل إليهم رسولًا، وهداهم النجدين، وبين لهم طريق الهدى وطريق الضلال، وأمرهم بالفعل، يفعل العبد كل ما يفعل بقدرته وإرادته واختياره، ولا يدري ما الذي جرى في قضاء اللَّه وقدره، وليس هذا شغله ولا له أن يبحث في هذا، عليه أن يتقيد بالأوامر والنواهي، أمرك بإقامة الصلاة عليك أن تقيم الصلاة.

= «يا أبا الحسن ما تقول في القدر ؟ فقال: طريق مظلم فلا تسلكه. فقال: يا أبا الحسن ما تقول في القدر ؟ فقال: بحرعظيم فلا تلجه، فقال: يا أبا الحسن ما تقول في القدر ؟ فقال: سر اللَّه فلا تكَلّفه»، وهو أثر ضعيف عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) ديوان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١٠١).

.....

لكن قول الذين يقولون بأن العبد مجبور ليس له قدرة، أو قدرته لا تعمل، وليس له إرادة هذه تسمى (العقيدة الجبرية) [١]، وهي ضلال في ضلال، وهي منتشرة الآن لأن الأشعرية مرجئة وجبرية وجهمية، اجتمعت فيها جميع هذه الأمراض، وهم منتشرون بين المسلمين، وكثيرٌ من شبابنا لا يدرون عنهم، يصدق على شبابنا قول عمر ﷺ: «إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية»[٢] لأن الجاهلية بدأت في هذه الأيام تضحك على شبابنا، جاهلية التصوف[٣]، جاهلية علم الكلام، جاهلية القانون، جميع هذه الجاهليات تعمل، وشبابنا نشئوا في الخير، نشئوا في الإسلام، على الفطرة، نشئوا على التوحيد، لا يعلمون من هذه الجاهليات شيئًا، فيأتي صاحب الجاهلية فيضحك عليهم، يقول: تعمل كذا وكذا من الأعمال الإسلامية فيصدقون، فيخرجون عن الجادة إلى بنيات الطريق فيقفون حيارى، لا علاج إلا العلم، والعلم وحده هو العلاج.

لذلك عليكم بالعلم، لا ينال الإنسان درجة الإيمان إلا بالصبر واليقين، الصبر على طاعة اللَّه، وطلب العلم الشرعي من أعظم طاعة اللَّه وعبادته، اصبروا على العلم لكي تخرجوا من الجهل، لا تضحك عليكم جاهلية الإرجاء وجاهلية الجبرية وجاهلية الجهمية وجاهلية التصوف وغير ذلك من الجاهليات التي دخلت مع هذا الانفتاح العام،

---

(١) الجبرية: نسبة إلى القول بالجبر، وهو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته للرب ﷻ فهو عندهم مجبور على الفعل مسلوب الإرادة والاختيار بمنزلة طوله ولونه، وأصل هذه المقالة من الجهم بن صفوان. انظر الملل والنحل (١/ ٩٧)، وهامش مختصر الصواعق المرسلة لـ حسن العلوي (١/ ٣١٨).

(٢) لم أقف عليه مسندًا، وهو أثر مشهور عن عمر ﷺ، وقد ذكره شيخ الإسلام في مواضع من كتبه. انظر مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠١).

(٣) الصوفية: اختلف في اشتقاقها، والصحيح: أنها مشتقة من لبس الصوف، ولقد كان التصوف في أول أمره بمعنى الزهد والاجتهاد في الطاعة والعبادة، إلا أنه تشعبت طرقه وكثرت طوائفه ومسمياته، فعج بالبدع والخرافات والمنكرات وأصبح للقوم فيه مصطلحات ومعتقدات يؤدي بعضها إلى الكفر والخروج من الملة، كالقول بالاتحاد ووحدة الوجود والحلول وغيرها من البدع، نسأل اللَّه العافية. انظر هامش مختصر الصواعق المرسلة لـ: حسن العلوي (١/ ١٥٤).

المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ، وهو: أنْ تعبدَ اللَّهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ.

عندما انفتحنا على العالم واتصل العالم كله بعضه ببعض وتداخل الخير والشر، لا يستطيع أن يفرق بين الخير والشر إلا من رزقه اللَّه البصيرة في دينه.

قوله: «**المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، ركنٌ واحدٌ، وهو: أنْ تعبدَ اللَّهَ كأنَّك تَراهُ فإنْ لم تكنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ**».

الشرح: وهذا المعنى الذي يعبر عنه بالمراقبة، المراقبة الخاصة الصادقة، بأن يراقب العبد ربه ﷻ ويتذكر دائمًا وأبدًا بأن اللَّه يراه ويرى مكانه، ويسمع كلامه ويعلم ما في نفسه، هذه المراقبة تحول بين المرء وبين ارتكاب المعاصي، وبين الغفلة والالتفات عن اللَّه إلى غير اللَّه، تشده إلى اللَّه المراقبة الصادقة، تشد العبد إلى اللَّه ﷻ إيمانًا منه أن اللَّه لا تخفى عليه خافية، وإن كان هو لا يراه، لأن اللَّه ﷻ لا يُرى في هذه الدنيا؛ فاللَّه ﷻ فوق جميع المخلوقات، فوق السموات السبع ومستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه، حجابه النور، لم يره موسى الذي طلب منه الرؤيا، ولم يره على الصحيح رسولنا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وإنما رأى نورًا لأنه -عليه الصلاة والسلام- سئل: هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنَّى أراه؟»[1] حجابه النور؛ لأن اللَّه سبحانه احتجب في هذه الدنيا بنور[2]، وقوى البشر لا تقوى على أن تثبت أمام هذا التجلي.

وأوضح دليل على هذا: قوله ﷺ في آخر قصة الدجال: «**فاعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»[3]، وهذا دليل واضح بأن اللَّه ﷻ لا يُرى في الدنيا، ولكن اللَّه يعطي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنى أراه» (١/ ١٦١)، عن أبي ذر قال: سألت رسول اللَّه ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنى أراه»، وفي رواية: قال: «رأيت نورًا».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن اللَّه لا ينام» (١/ ١٦١)، عن أبي موسى قال: قام فينا رسول اللَّه ﷺ بخمس كلمات فقال: «إن اللَّه ﷻ لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور -وفي رواية: النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه».

(٣) سبق تخريجه، انظر صفحة (٤٥).

والدليلُ: قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾

العباد قوة ليثبتوا أمام التجلي يوم القيامة، وفي الجنة، ويتجلى لهم ويرونه بغير إحاطة، كما أنهم يعلمونه الآن بدون إحاطة به بعلمهم، كذلك سوف يرونه بدون إحاطة به برؤيته، لأن المخلوق لا يحيط بالخالق، فالخالق هو المحيط بجميع المخلوقات، هو الذي يعلم منهم كل شيء هذا هو الإحسان.

قوله: «والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1]».

الشرح: هذه تسمى المعية الخاصة، أي: أن اللَّه تعالى مع الذين اتقوه، أي: جعلوا بينهم وبين غضبه وسخطه وقاية، هذه الوقاية بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات، وذلك من صدق المراقبة، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، أحسنوا في عبادة اللَّه تعالى بالإخلاص وصدق المراقبة، وأحسنوا إلى عباد اللَّه بما يستطيعون الإحسان به.

والإحسان من حيث المعنى أعم، ومن حيث أهله أخص، لأن الإحسان يشمل أي عمل صالح، سواء كان العمل بينك وبين ربك، أو الإحسان إلى عباده، هذا معنى أنه أعم من حيث المعنى، ولكن من حيث أهله أخص، أي: المحسنون الذين يصلون إلى هذه الدرجة هم نخبة من المؤمنين ليس جميع المؤمنين، أي ليس جميع المؤمنين يصلون إلى درجة الإحسان، ولكنهم نخبة مختارة وفقهم اللَّه وسدد أمرهم هم اللذين يحظَون بالمعية الخاصة.

المعية الخاصة تزيد على المعية العامة بالنصر والتأييد والحفظ والكلأ، المعية العامة بمعنى العلم والرؤية والتدبير العام، وبهذا المعنى: اللَّه ﷻ مع جميع مخلوقاته، لا يخلو مكان من علمه، وهو فوق عرشه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، لكن لا يخلو مكان من علمه، وهذه هي المعية العامة.

فإذا قيل: اللَّه معنا، لا ينبغي أن يتبادر إلى ذهنك بأن اللَّه معنا بذاته هنا في الأرض، فاللَّه ﷻ منزه عن المعية الذاتية مع خلقه، لا مع أهل أرضه ولا مع أهل سمواته، أي: ليس اللَّه بالأرض بذاته ولا في السموات السبع بذاته، ولكن بذاته فوق

---

(١) [سورة النحل: ١٢٨].

وقولُهُ تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾.

جميع مخلوقاته، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ولكن هو بعلمه مع كل مخلوق، أي: لا تخفى عليه خافية من أمرهم، وهذه تسمى المعية العامة، وتزداد المعية الخاصة مع المحسنين، مع المتقين، كتلك المعية التي حظي بها الرسول ﷺ وصاحبه في الغار ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1]، معية خاصة حفظهما الله ورعاهما وسترهما من أعين أعدائهم، تلك هي المعية الخاصة، فلتفهم! وهذه منها، معية مع المحسنين.

قوله: «وقولُهُ تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[2]».

الشرح: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذا هو محل الشاهد من الآية.

قوله: «وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[3]».

الشرح: أي نحن معكم، فالله ﷻ يعبر عن نفسه أحيانًا بضمير العظمة، وأحيانًا بضمير الإفراد، وضمير العظمة لا يدل على التعدد، بل يدل على العظمة «إنا»، «إنا، نحن» مثل هذه الضمائر يقال لها ضمير العظمة لا للكثرة، ومثلها: «كنا»، ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن الكثرة والتعدد، لأن هذا أسلوب عربي، والمخلوق نفسه يعبر عن نفسه أحيانًا فيقول: نحن فعلنا، أو: نحن مشينا، وهكذا، وهذا أسلوب عربي معلوم.

---

(١) [سورة التوبة: ٤٠].

(٢) [سورة الشعراء: ٢١٧ ٢٢٠].

(٣) [سورة يونس: ٦١].

والدليلُ مِنَ السُّنَّة: حديثُ جبريل المشهور عن عمر ﷺ قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ اللَّه ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثياب، شديد سوادِ الشَّعر، لا يُرى عليه أثَرُ السَّفر، ولا يعرفه مِنَّا أحد، حتّى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند رُكبَتَيْه إلى رُكبَتَيْه، ووضع كَفَّيْه على فخذيه، وقال: «يا مُحَمَّدُ؛ أخبِرْني عَنِ الإسلام. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **الإِسْلاَمُ: أن تَشْهَدَ أَن لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ ا للَّه، وَتُقِيمَ الصَلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا،** قال: صَدَقْتَ. فعجبنا له يسأله ويُصَدِّقُه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّه وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ،** قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟قال: **أَنْ تَعْبُدَ اللَّه كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.** قال: **فَأَخْبِرْني عَنِ السَّاعة؟**قال: **مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ.** قال: **فَأَخْبِرْني عَنْ أَمَارَاتِهَا** ؟ قال: **أَنْ تَلِد الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ.** ثُمّ انْطَلَق. فَلَبِثْتُ مَلِيًا، ثم قال: **يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟** قلت: اللَّه ورسوله أعلَم، قال: **فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ يُعَلِمُكُمْ دِينَكُمْ**».

قوله: « **والدليلُ مِنَ السُّنَّة: حديثُ جبريل المشهور عن عمر ﷺ قال: بينما نحن جُلوسٌ عند رسولِ اللَّه ﷺ ذات يوم، . . . . . الحديث** [1]».

الشرح: حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب ﷺ: « بينا » وفي رواية: «بينما»، وهما لغتان صحيحتان، «بينما نحن جلوسٌ عند رسول اللَّه إذ طلع علينا» أي: حين طلع علينا، «إذ» بمعنى «حين»، حين طلع علينا « رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر»، وفي بعض الألفاظ: «شديد سواد اللحية »[2] جاء جبرائيل ملتحيًا بصفة رجل من البشر، «لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد »، من أين عرف عمر حتى يقول: لا يعرفه منا أحد، أي: تساءلوا فيما بينهم هل تعرفون هذا الرجل الغريب؟ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، مع العلم أنه أتى يمشي على

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (١/ ٣٦).

(٢) هذه الرواية أخرجها الحافظ ابن منده في كتاب الإيمان (١/ ١٣٢).

.....

قدميه، مع ذلك نظيفة قدماه، ونظيف شعره وثيابه، ولم يكن جالسًا معهم عند الرسول ﷺ والمفروض في مثل هذا الرجل الغريب أن يرى عليه أثر السفر، لم يحدث شيء من ذلك.

« فجلس إلى النبي فأسند ركبتيه إلى ركبتيه » وفي بعض الألفاظ: «وتخطى الرقاب إلى أن وصل إلى النبي »[1]، قال بعض أهل العلم: إنما فعل ذلك للتعمية على الناس، كأنه يريد أن يُري الناس بأنه إنسان جاهل غشيم، فجلس إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- فأسند ركبتيه إلى ركبة النبي ﷺ، هذا مما لفت أنظار الصحابة، فالصحابة مع شدة محبتهم للرسول -عليه الصلاة والسلام- يهابونه، ومن الهيبة لا يسندون ركبهم إلى ركبتيه، يجلسون بعيدين عنه نوعًا ما، ولكن هذا الرجل جلس هذه الجلسة، «ووضع كفيه عل فخذيه»، على فخذي من؟ فخذي نفسه! هذا ما فهمه كثيرٌ من الشراح، والصحيح: على فخذي الرسول ﷺ، وجاء في بعض الروايات ما يشير إلى أنه « وضع كفيه على فخذي رسول الله ﷺ »[2] كل ذلك تلطفًا برسول الله ﷺ؛ لأنه في واقع الأمر هو المعلِّم وإن جلس جلسة المتعلم، ولكنه في واقع الأمر هو المعلِّم، لذلك وضع يديه على فخذي رسول الله ﷺ.

«وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: **أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلًا**، قال: صدقت »، عجبًا! تسأل فتصدق؟ يقول الصحابة: «عجبنا له يسأله ويصدقه»، كان المفروض أن الذي يسأل إذا أجابه الأستاذ يقول له: جزاك الله خيرًا، أحسن الله إليك، فإذا هو يصدقه، يقول له: صدقت، عجب الصحابة من هذا التصرف، «قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**»، وقد سبق شرح ذلك[3].

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٤٦).

(٢) أخرج هذه الرواية النسائي في السنن (مع حاشية السيوطي) كتاب الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسلام (٨/ ٤٧٥)، وابن منده في كتاب الإيمان (١/ ١٤٦).

(٣) راجع الصفحات (٨٥- ٨٨).

.....

«قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: **أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» فلتعلم ذلك.

«قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: **ما المسئول عنها بأعلم من السائل**». عِلْم جبرائيل وعِلْم الرسول ﷺ هنا على حد سواء، لا يعلم النبي ﷺ متى تقوم الساعة، ولا جبرائيل ﷺ يعلم ذلك.

«قال: أخبرني عن أماراتها»، أمارة وإمارة، الأمارة: العلامة، والإمارة: الولاية، هنا في الحديث الأمارة أي: العلامة، وعلامات الساعة كثيرة وكثيرة جدًّا ومتفاوتة، ومن أوائل علاماتها: مبعث الرسول ﷺ، والتي يقول فيها المصطفى -عليه الصلاة والسلام-: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**، رفع الوسطى مع السبابة»[1]، فسر أهل العلم «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» على تفسيرين:

التفسير الأول: إني سبقت الساعة كما تسبق الوسطى السبابة بهذا المقدار، أي: مبعثي وقيام الساعة متقارب، إنما ما سبقت بمثل هذا السبق.

التفسير الثاني: أن قيام الساعة لاصقٌ بمبعثي وبرسالتي، حيث لا يوجد نبي بعده لأنه خاتم النبيين، ولا ينافي المعنى الأول المعنى الثاني، كلاهما واحد والمؤدى واحد، وهو قرب الساعة.

قوله: «قال: أن تلد الأمة ربتها».

الشرح: هنا ذكر -عليه الصلاة والسلام- بعض الأمارات في هذا الحديث، والتي ظهرت الآن تمامًا ونعيشها قال: «**أن تلد الأمة ربتها**»، اختلف أهل العلم في تفسير هذه الجملة على سبعة أقوال لخصها الحافظ في «الفتح»[2] في أربعة أقوال وارتضى منها معنًى واحدًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير، باب سورة «والنازعات» (٣/ ٣٢٠)، ومسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قرب الساعة (٤/ ٢٢٦٨)، عن سهل بن سعد.

(٢) انظر فتح الباري (١/ ١٦٢- ١٦٣)، طبعة دار السلام.

.....

الذي يتبادر إلى أذهان الناس والمفسرين كناية عن كثرة الفتوحات الإسلامية حتى يكثر التسري بالجواري، فتلد الجارية ابنًا أو بنتًا، فيكون هذا الابن بمثابة السيد لها، لأنه ابن سيدها إذا تسرى بها فأنجب منها ولدًا، هذا الولد الذي أنجبه السيد من جاريته حر، فأصبح كأنه سيدها، فأصبح المراد بالرب هنا السيد، لفظة «الرب» تستعمل إذا كانت مضافة في غير اللَّه تعالى، ولكن لا تستعمل بدون إضافة إلا في حق اللَّه.

الشاهد: هذا المعنى لم يرتضه صاحب (الفتح)، قال: العلامات التي يريد أن يذكرها النبي -عليه الصلاة والسلام- الأشياء الغريبة التي لا عهد للأولين بها، ووجود التسري بالجواري والإنجاب منها شيء معلوم حتى في صدر الإسلام، إذن ما هو المعنى الغريب الذي يكون علامة وأمارة لقيام الساعة من سوء الأحوال؟

قال صاحب (الفتح): معنى ذلك أن يصاب الأولاد بالعقوق؛ فيستعمل الولد والدته، فيستخدمها ويهينها ويضربها ويسبها، فيجعلها كالجارية والأمة والخادمة التي تعمل عنده، في آخر الوقت يكثر العقوق ويكون الولد عاقًّا لوالدته، فيضربها ويسبها كأنها أمة جارية عنده، هذا المعنى ارتضاه صاحب (الفتح) واستحسنه كثيرًا وأعرض عن جميع المعاني التي ذكرها أهل العلم عند هذا الحديث.

« وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»، يأتي وقت على الناس وقد أتى أهل البادية المعروفون بالفقر وسوء الحال، الذين يمشون حفاة عراة أو شبه عراة، وفقراء ليس فيهم شيء من الحضارة وآثار الغنى، يأتي على الناس يومٌ على أولئك يتركون خيامهم ويبنون القصور في محل الخيام، فيتفاخرون ويتطاولون بقصورهم، وهذا هو واقعنا الآن ومشاهد.

«قال: فمضى فلبثنا مليًّا» أي: فترة من الزمن، **«فقال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: اللَّه ورسوله أعلم».**

لفظة: «اللَّه ورسوله أعلم» يتشدد بعض صغار طلبة العلم في استعمالها اليوم، إذا سئلت عن أمر ديني لا تعرفه كشروط الصلاة وأركان الحج وواجبات الحج مثلًا، لك أن

.....

تقول: اللَّه ورسوله أعلم، حتى بعد وفاة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لا كما يظن بعض الناس أن قول: اللَّه ورسوله أعلم خاص بحياة النبي -عليه الصلاة والسلام-، لأنك لم تعلم شيئًا من الدين إلا بعد أن علمه النبي -عليه الصلاة والسلام-، لذلك لك أن تقول: اللَّه ورسوله أعلم.

لكن في الشئون الدنيوية هل وقع اليوم كذا ؟ ما أخبار اليوم ؟ وهل نزل المطر في الجهة الشرقية أو الوسطى ؟ وأنت لا تعلم تقول: اللَّه أعلم، ليس لك أن تقول: اللَّه ورسوله أعلم، هذا علم خاص باللَّه، يجب أن نفرق بين الأمور الدينية وشئون الدنيا بعد وفاة النبي ﷺ.

«قال: يا عمر أتدري من السائل ؟ قلنا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم »، ما أعظم هذا الدين، الدين الذي بعث به خاتم النبيين ثم يرسل جبرائيل الذي اصطفاه من الملائكة رسولًا ليعلم أمة محمد ﷺ، ويكرمهم هذا الإكرام، يعلمهم بهذه الطريقة «أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

الأصلُ الثالثُ: معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ ﷺ: وهو محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٌ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرِّيَّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ -عليْهِ وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ-، وله مِنَ العُمْرِ: ثلاثٌ وستُّونَ سنةً، منها أربعون قبلَ النُّبُوَّةِ، وثلاثُ وعشرون نبيًّا رسولًا، نُبِّئَ بـ «اقرأ» وأُرْسِلَ بـ «المدَّثِّر»، وبلدُهُ مكَّةَ، وهاجر إلى المدينة. وبعثَهُ اللَّهُ بالنَّذَارَةِ عنِ الشِّركِ، ويدعُو إلى التَّوحيدِ،

قوله: «الأصلُ الثالثُ: معرفةُ نبيكُمْ محمدٍ ﷺ: وهو محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وهاشمُ مِنْ قريشٍ، وقريشٌ مِنَ العربِ، والعربُ مِنْ ذرِّيَّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ -عليْهِ وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ-».

الشرح: هو محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب بن هاشم إلى هنا ذكر المؤلف نسب النبي ﷺ، وعلى الشباب أن يحفظوا النسب إلى عدنان [1]، وهذا محل اتفاق، وما بعد ذلك فمحل خلاف، [والمعرفة هنا معرفتان: المعرفة الأولى وسيلة وتمهيد للمعرفة الثانية المطلوبة شرعًا، معرفة الإنسان محمدًا ﷺ وأنه محمد بن عبد اللَّه بن عبدالمطلب إلى آخر النسب وأنه من العرب من ذرية إسماعيل وأنه ولد بمكة وهاجر إلى المدينة، فهذه المعرفة معرفة تمهيدية للمعرفة التي لابد منها، وهي التي من الإيمان: وهي كونك تعلم أنه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [2] وتعلم أنه رسول اللَّه، وتعلم أنه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [3].

أي: معرفته بأوصافه التي جاءت في القرآن، ومعرفة أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده، وأنه مبعوث للثقلين الجن والإنس، وطاعته في كل أمره، وتصديق أخباره، وألا يعبد

---

(١) هو خير أهل الأرض نسبًا على الإطلاق، وأشرف القوم قومه، وأشرف الأفخاذ فخذه: هو محمد بن عبد اللَّه -صلوات اللَّه وسلامه عليه- ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: الثقات لابن حبان (١/ ٢٢)، وزاد المعاد لابن القيم (١/ ٧٠)، طبعة الرسالة.

(٢) [سورة الأحزاب: ٤٠].

(٣) [سورة التوبة: ١٢٨].

.....

اللَّه إلا بما جاء به، وهذه المعرفة هي المعرفة النافعة، وبعد هذه المعرفة لابد من التصديق والإذعان والاتباع له][1].

قوله: « وله مِنَ العُمْرِ ثلاثٌ وسِتُّونَ سنةً، منها أربعون قبل النُّبُوَّةِ، وثلاثُ وعشرون نبيًّا رسولًا».

الشرح: وله من العمر حين توفي ثلاث وستون سنة، كذلك، هذا محل إجماع، منها أربعون قبل النبوة، لأنه لم يبعث إلا بعد الأربعين، وهذه سنة اللَّه فيمن يبعثهم، وثلاث وعشرون نبيًّا ورسولًا، النبوة قبل الرسالة.

ويختلفون في التفريق بين النبي والرسول؛ منهم من يعرف فيقول: النبي من كلف برسالة أو بعث برسالة ليعمل بها، ولم يكلف بالتبليغ.

وهناك تعريف ثانٍ: وهو أن النبي من بعث ليعمل برسالة من قبله وليست له رسالة مستقلة، ككثير من أنبياء بني إسرائيل، يعملون بشريعة التوراة والإنجيل، وهم كثر، والتعريف الثاني أنسب، والتعريف الأول أشهر.

ولكن التعريف الأول يؤخذ عليه القول بأنه لم يؤمر بالتبليغ، التبليغ والدعوة والإصلاح واجب الرسل، وواجب الأنبياء وواجب على أتباعهم، فإن أتباعهم مكلفون بالإصلاح والنصح للَّه ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والدعوة إلى اللَّه، إذا كان العلماء وهم ورثة الأنبياء يكلفون هذا التكليف فالأنبياء من باب أولى، لذلك التعريف الأول على الرغم من أنه هو المشهور عند كثير من أهل العلم ولكن التعريف الثاني أنسب من حيث المعنى؛ لأن الأنبياء من بني إسرائيل الذين لم يكونوا رسلًا مكلفون بالتبليغ والدعوة على ضوء كتاب اللَّه التوراة والإنجيل.

قوله: « نُبِّئَ بـ(اقرأ) وأُرْسِلَ بـ(المدّثر)».

الشرح: نبئ بـ اقرأ؛ إذ أرسل اللَّه إليه جبرائيل ففاجأه جبرائيل بقوله: اقرأ، فالنبي

(١) هذا من (أ).

.....

-عليه الصلاة والسلام- ليس بقارئ ولهذا كان الجواب: «لست بقارئ»، وضمه حتى خاف على نفسه، وكرر عليه ذلك، وبعد ذلك وبعد أن روعه وخافه جاء إلى خديجة ﵂ فأخبرها الخبر، فقالت: والله لا يخزيك الله أبدًا، لأنك تصل الرحم، وتكسب المعدوم، وغير ذلك من صفات وأخلاق جُبل عليها ﷺ، من صلة الرحم، والإحسان، والأمانة، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، ومن كان هكذا لا يخزيه الله، هذه سنة الله في خلقه.

بعد أن طمأنته ذهبت به إلى ورقة بن نوفل، فورقة بيَّن له أن ما جاءه كان يأتي الأنبياء من قبله، رسول الله من الملائكة الذي اصطفاه الله ليرسله إلى الأنبياء من بني آدم وأنه جبرائيل، وأن ما جاءه من عند الله ليس من الشيطان، ثم تمنى ورقة لو أحياه الله عندما يخرجه قومه، فقال النبي ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هم؟! أي: سوف يخرجوني ؟ قال له: ما أتى أحدٌ بمثل ما أتيت به إلا أوذي[1]، هذه سنة الله في الأنبياء، وفي أتباع الرسل من المصلحين، لابد من الإيذاء «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل»[2].

الله قادر حينما أرسل محمدًا ﷺ أن يجعل أهل مكة جميعًا أبا لهب وأبا جهل وغيرهما أن يجعلهم جميعًا كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، كلهم يطيعون ويمتثلون، ولكن لله حكمة في أن يبتلي نبيه هذا الابتلاء إلى حد الضرب والحصار والإخراج، ثم ينتهي الأمر إلى الهجرة إلى المدينة.

كل ذلك ليرفع الله شأنه ويكثر ثوابه، ولحِكَم لا نعلمها، لأن الله ﷻ لا يفعل فعلًا إلا لحكمة، والعباد قد يدركون أحيانًا بعض الحكم في بعض أفعال الله ﷻ، وقد لا يدركون، إن أدركنا الحكمة في فعل الرب ﷻ في قضائه وقدره وأفعاله؛ إن أدركنا ذلك إما نصًا أو استنتاجًا نزداد بذلك إيمانًا على إيمان، وإن لم ندرك الحكمة فعلينا

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ١٤)، ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١/ ١٣٩) عن عائشة ﵂ . . . . به.

(٢) تقدم تخريجه صفحة رقم (٢٥).

.....

الامتثال والتصديق، هذا ما جرى للرسول ﷺ.

قوله: « وبلدُهُ مكَّة وهاجر إلى المدينة، وبعثَهُ اللَّهُ بالنَّذَارَةِ عنِ الشِّركِ».

الشرح: أمره بأن ينذر، وبهذا أرسل فأصبح نبيًّا رسولًا -عليه الصلاة والسلام-، ولذلك يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «نبئ بـ اقرأ وأرسل بـ المدثر» وأما بلده الذي ولد فيه مكة، وبعثه اللَّه بالنذارة عن الشرك وليدعو إلى التوحيد، الإنذار: هو الإعلام مع التخويف، الإعلام إن لم يكن معه تخويف لا يسمى إنذارًا، بل هو مجرد إعلام، فرسول اللَّه ﷺ وصفه ربه بهذه الصفات: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[1] وهذه الآية تبين وظيفة النبي ﷺ وأعماله التي أرسل من أجلها، وبها أمر أتباعه ليكونوا مبشرين ومنذرين ودعاة إلى اللَّه على بصيرة.

قوله: « ويدعُو إلى التَّوحيدِ».

الشرح: يعني: يبدأ بالدعوة إلى التوحيد، وليست دعوة نبينا محمد ﷺ ودعوة أتباعه ليست قاصرة على التوحيد، ولكنه بدأ بالتوحيد وركز على التوحيد لأنه الأساس، والمراد بالتوحيد هنا: توحيد العبادة ومحل المعركة، أما توحيد الربوبية فالناس معترفون به من قبل، فتوحيد الربوبية يستوي فيه الكافر والمؤمن لذلك أخبر اللَّه عن المشركين: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2] لا يوجد في المشركين من يدعي بأن أحدًا شارك اللَّه في خلق السموات والأرض، وفي تدبير الأمر من السماء إلى الأرض، وفي التصرف في هذا الكون.

والعجب كل العجب: أن يحصل في الآونة الأخيرة في المتصوفة من يشرك باللَّه ﷻ في ربوبيته، بعد أن كان المشركون يوحدون اللَّه تعالى في ربوبيته، وفي مشايخ الطرق وكثير من الطرق الصوفية اعتقادهم أن الشيخ -شيخ الطريقة- إذا كان حيًّا مشغولٌ بالخدمة، وهذه عبارتهم المقصود بالخدمة: العبادة، فإذا مات تفرغ ليتصرف في هذا الكون لأتباعه، وهو

(١) [سورة الأحزاب: ٤٥- ٤٦].

(٢) [سورة الزمر: ٣٨].

.....

المسئول عن أرزاقهم وآجالهم وتدبير شئونهم، ناسين رب العالمين ﷻ، وهذا الكلام الذي نقوله مروي في كتب المتصوفة، كتب ابن عربي[١] مثل: «فصوص الحكم» وغير ذلك من الكتب، لابن الفارض[٢] وابن سبعين[٣] وابن عجيبة[٤]، وهؤلاء الأبناء غير البررة تجد في كتبهم الكفر البواح، والكفر الذي لم يرتكبه كفار قريش.

لذلك يقول الإمام ابن تيمية: أتت فرقة وحدة الوجود بكفر لم يعرفه كفار قريش؛ لأنه في كفار قريش لم يقع ولم يحصل من يقول: ليس في الجبة إلا اللَّه، وهذه مقالة ابن عربي.

وعلى طلاب العلم أن يفرقوا بين ابن عربي وابن العربي[٥]؛ ابن العربي عالمٌ سني إمام من أهل الحديث، مالكي المذهب، وهذا معروف ومشهور، أما ابن عربي المنكَّر هذا هو النكرة المنكرة، هو الذي أنشأ فكرة وحدة الوجود، أي: نفى الاثنينية على حد تعبيرهم، نفى الاثنينية في الكون، الكون شيء واحد، قال ابن عربي:

الرب عبد والعبد رب ... يا ليت شعري من المكلف

(١) ابن عربي: هو أبو عبد اللَّه محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي المرسي، الملقب بالشيخ الأكبر المشهور بابن عربي عند أهل المشرق، ولد سنة (٥٦٠) وهلك سنة (٦٣٨)، وهو أكبر دعاة وحدة الوجود. انظر السير (٢٣/ ٤٨)، وميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٩).

(٢) ابن الفارض: هو عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ولد سنة (٥٧٦)، ويلقب بسلطان العاشقين، وهلك سنة (٦٣٢) بالقاهرة. انظر وفيات الأعيان (٣/ ٤٥٤).

(٣) ابن سبعين: هو أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد الإشبيلي المرسي الرقوطي الأصل الصوفي المشهور ولد سنة (٦١٣) بالأندلس وهلك سنة (٦٦٧) بمكة، مات منتحرًا بقطع شرايين يديه، وهو من فلاسفة الصوفية وملاحدتهم. انظر شذرات الذهب (٥/ ٣٢٩).

(٤) ابن عجيبة: هو أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري، من مشايخ الطريقة الشاذلية من أهل المغرب، ولد سنة (١١٦٠)، وهلك سنة (١٢٢٤). انظر الأعلام للزركلي (١/ ٢٤٥).

(٥) ابن العربي: هو الإمام العلامة الحافظ القاضي محمد بن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن العربي الأندلسي الإشبيلي المالكي من أهل الحديث، ولد سنة (٤٦٨)، صاحب عارضة الأحوذي شرح جامع الترمذي، والعواصم من القواصم، توفي رحمه الله سنة (٥٢٣). انظر ترجمته في السير (٢٠/ ١٩٧).

.....

إن قلت عبدٌ فذاك حق وإن قلت رب فأني يكلف

الشاهد: التوحيد الذي دعت إليه الرسل وتعبوا في الدعوة إليه، وقامت الخصومة بينهم وبين أتباعهم هو توحيد العبادة، وإلا جميع الكفار في جميع الملل كلهم يعترفون بربوبية اللَّه تعالى، أي: يوحدون اللَّه تعالى بأفعاله، ولا يعتقدون بأن أحدًا شارك اللَّه في خلقه، وفي رزق العباد وفي تدبير أمور العباد، لذلك يؤمنون باللَّه بربوبيته، ولكن يتخذون آلهة من دون اللَّه تعالى لا لأنها تخلق أو ترزق، ولكن لتقربهم إلى اللَّه زلفى، وسائط وشفعاء، وهذا هو شرك المشركين الأولين، ولكن كما قلنا: زين الشيطان لكثيرٍ من أتباع المتصوفة فوقعوا في الشركَين معًا شرك في توحيد الألوهية، وشرك في توحيد الربوبية.

ويحسب كثيرٌ من الناس الذين لا يعرفون ترجمة وحياة الإمام محمد بن عبد الوهاب أنه إنما دعا إلى توحيد العبادة، وإنما جدد الدين في توحيد العبادة فقط، وهذا خطأ، وإذا درست حياته تجد أن أول ما نفذ من عمل أن رجم امرأة اعترفت بفاحشة الزنا أمامه وأصرت على ذلك، أي: إن دعوته بدأت بالتوحيد، وفي إقامة الحدود والإصلاح العام، والحكم بما أنزل اللَّه، وفي إصلاح العقيدة، وفي إصلاح العبادة، أي دعوة عامة، ولكن نظرًا لأن الوضع الذي جاء فيه وما يجري في أرض نجد في تلك الأيام هو الشرك في العبادة، لأن القوم كانوا يعبدون النخل، كان النخل عندهم كثيرًا، يعبدون أشجار النخل، ويعبدون الجن، ويعبدون القبور، لذلك ركز على توحيد العبادة، ولما استقر به المقام وثبت كتب وهو بالدرعية رسائل كثيرة إلى الأقطار، وبين في تلك الرسائل دعوته، وبين موقفه من الأئمة الأربعة، وبين موقفه من الصحابة، وبين موقفه من السنة، وبين موقفه في جميع الأحكام، وأوضح أن دعوته ليست مجرد القول بأن هذا شرك وهذا توحيد كما يُذيع خصومه، ولكنها دعوة عامة وتجديد عام، إلى كل ما دعا إليه محمد ﷺ، بدءًا من العقيدة والعبادة إلى الأحكام، أما تجديده جميع هذه النواحي فليفهم أن هذا التجديد تجديد عام.

لذلك ينبغي أن تقرءوا ما كتب أخيرًا في ترجمته لشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز[١]، ترجمة خاصة، ولبعض الشيوخ المعاصرين، ينبغي أن تطلعوا على ذلك وتعرفوا حقيقة هذا التجديد، ولذلك معنى قولنا: يدعو إلى التوحيد كما قلنا إلى توحيد العبادة لذلك ركز هو أيضًا على توحيد العبادة، لأن الوضع متشابه، والوضع في نجد متشابه مع الوضع في مكة عندما بعث الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ثم إن الرجل تجول في كثير من الأمصار فعرف أن الوضع متشابه في العالم كله، وأن العالم كله بحاجة إلى التجديد العام.

(١) هو الإمام المحدث العلامة الفقيه شيخ الإسلام عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز مفتي عام المملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء سابقًا، ولد سنة (١٣٣٠هـ) وتوفي -رحمه الله تعالى- سنة (١٤٢٠هـ) ودفن في مقبرة العدل بمكة. انظر كتاب «إمام العصر» لـ د/ ناصر الزهراني.

والدليلُ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾، ومعنى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عنِ الشِّركِ ويدعُو إلى التَّوحيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عَظِّمْهُ بالتَّوحيدِ، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طَهِّرْ أعمالَكَ عنِ الشِّرك، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأصنامُ، وهجرُها: تَرْكُها وأهلَها، والبراءَة منها وأهلِها، أخذَ على هذا عشْرَ سِنينَ يدعُو إلى التوحيدِ.

قوله: «والدليلُ: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . . . .﴾ الآية[1]».

الشرح: قال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذه الآية:

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي: أنذر عن الشرك، أي: بنوعيه الشرك الأكبر والشرك الأصغر، ويدعو إلى التوحيد لأن الدعوة إلى التوحيد تشتمل على الإيمان والكفر معًا، الإيمان باللَّه ﷻ ربًّا معبودًا، والكفر بمن سواه من المعبودات، هذا هو معنى الدعوة إلى التوحيد، أي: الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عظمه بالتوحيد، ومن وحد اللَّه فقد عظمه، ومن صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير اللَّه تعالى فقد شبه ذلك المعبود باللَّه، وفي تشبيه المخلوق بالخالق عدم تعظيم اللَّه تعالى، ومن دعا غير اللَّه واستغاث بغير اللَّه وذبح لغير اللَّه شبَّه ذلك الذي يعبده شبهه باللَّه ﷻ، حيث منحه سمعًا كسمع اللَّه، وعلمًا كعلم اللَّه، وقدرة كقدرة اللَّه، هذا من أقبح أنواع التشبيه، وهو تشبيه المخلوق بالخالق، والتشبيه الثاني: هو تشبيه الخالق بالمخلوق، هذا الذي ابتلي به علماء الكلام، ولكن هذا النوع وهو المنتشر كما قال العلامة ابن القيم، بل ما كان يعرف سابقًا إلا هذا النوع قبل نشأة علم الكلام، التشبيه المذموم الذي ندد به القرآن هو تشبيه المخلوق بالخالق.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: طهر أعمالك عن الشرك، تفسير الثياب بالأعمال ليس بتأويل، بل تفسير لغوي، فيقال: إذا أرادوا أن يصفوا إنسانًا بالنزاهة يقال: فلان ثيابه طاهرة، وإذا أرادوا أن يعيبوه في خلقه يقال: ثيابه دنِسة أي: ليست بطاهرة.

---

(١) [سورة المدثر: ١-٧].

وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمسُ.

إذن تخصيص الثياب بالأعمال تفسير لغوي وليس بتأويل، وهذا تنبيه لأن كثيرًا من الناس لا يفرقون بين التفسير وبين التأويل، فإذا رأوك تفسر مثل هذا التفسير يقولون: أنتم تقولون لا نؤول ولكن تؤولون، التأويل المذموم: التحريف؛ تحريف الكلمة وأن تحمِّل الكلمة ما لا تتحمل لا لغة ولا شرعًا، أما التفسير اللُّغوي؛ تفسير المفردات باللغة، ليس بتأويل ولكنه تفسير وبيان، والتأويل في لغة المفسرين كما نعلم بمعنى التفسير والبيان، إنما التأويل عند المتأخرين بمعنى التحريف.

قوله: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾.

الشرح: يقول الشيخ: الرجز الأصنام والأوثان، وكل ما عبد من دون اللَّه تعالى، وهجرها تركها وترك أهلها، والبراءة منها ومن أهلها، أي: الكفر بها والإيمان بتوحيد اللَّه تعالى.

قوله: «أخذَ على هذا عشْرَ سِنينَ يدعُو إلى التوحيدِ».

الشرح: أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد وإلى إفراد اللَّه تعالى، لأن القوم تمكنت منهم الوثنية والشرك، وبعد العشر عرج به إلى السماء حكمة منه ﷺ قبل الهجرة إلى المدينة.

قوله: «وبعدَ العشْرِ عُرِجَ به إلى السماءِ وفُرِضَتْ عليه الصلواتُ الخمسُ».

الشرح: عرج به إلى السماء وفرضت عليه الصلوات الخمس، هذا العروج وإيجاب الصلوات عليه وهو فوق السموات السبع، عند أو بعد سدرة المنتهى، إلى أن وصل إلى حيث يَسمع صريف الأقلام، أقلام الملائكة وهم يكتبون المقادير، وصل إلى هناك وحده بعد أن تأخر جبرائيل عند سدرة المنتهى لم يتجاوزها، وانفرد وحده -عليه الصلاة والسلام- بهذا المقام، فخاطبه ربه مباشرة دون واسطة جبرائيل، فكلمه وأسمعه كلامه، رسولنا -عليه الصلاة والسلام- سمع كلام اللَّه مباشرة في تلك الليلة، في تلك اللحظة عندما أوجب عليه الصلوات.

.....

وهذا مما يستدل به على أن اللَّه ﷻ يتكلم بكلام يسمع له صوت، فرسول اللَّه ﷺ سمع كلام اللَّه بصوت اللَّه في ليلة الإسراء والمعراج، بدون واسطة مباشرةً، وكل من خاطبهم ربهم من الأنبياء إنما سمعوا كلام اللَّه بصوت، وأكرر هذا في كل مناسبة ردًّا على الأشاعرة الزاعمين بأن كلام اللَّه الحقيقي ليس بحرف ولا صوت، وإنما هو معنًى واحد قائمٌ بذات اللَّه، هو الذي يترجم إلى العربية فيقال له: قرآن، وإلى السريانية والعبرية فيقال لها: توراة، يا ليت شعري من الذي ترجم كلام اللَّه الذي في نفس اللَّه؟ من الذي ترجمه إلى هذه اللغات؟ من هو؟ جبرائيل أم محمد ﷺ؟ وهل علم أحدٌ بما في نفس اللَّه حتى يترجم هذه الترجمة.

إن القوم لم يفكروا أدنى تفكير عندما قالوا هذا الكلام، ولكن عقيدة تقليدية، التلميذ يقلد الشيخ، والشيخ يقلد الشيخ الأول، وهكذا تقليدٌ مسلسل، وليس هناك دليلٌ أو مستند، الذي ينفي أن يكون كلام اللَّه بحرفٍ وصوت، بل القرآن يصرِّح بأن هذا القرآن نفسه بحروفه كلام اللَّه ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[1]

كلام اللَّه الذي قرأه رسول اللَّه ﷺ على المشركين فسمعوه، هو هذا القرآن بألفاظه، أما الصوت الذي سمعوه فهو صوت رسول اللَّه ﷺ، والأصوات التي نسمعها الآن أصوات القراء، مثل صوت الحصري[2] وصوت فلان... إلخ، ولكن الكلام المقروء المسموع كلام اللَّه «المتلو كلام الباري، والمسموع صوت القاري».

وإذا قلنا: كلام اللَّه بحرف وصوت، فلا نعني الأصوات التي نسمعها الآن من القراء والأئمة عندما يقرءون القرآن أنها صوت اللَّه، لا؛ هذه الأصوات أصوات القراء، ولكن الكلام المتلو كلام الباري سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ هذا كلام اللَّه، والصوت الذي

(١) [سورة التوبة: ٦].

(٢) الحصري: هو الشيخ القارئ محمود خليل الحصري شيخ المقارئ المصرية، ورئيس لجنة تصحيح المصاحف ومراجعتها بالأزهر سابقًا، ولد سنة (١٣٣٥هـ) وتوفي رحمه الله سنة (١٤٠١هـ).

.....

تسمع عندما يقرأ القارئ صوت ذلك القارئ، لذلك جعل أهل العلم من السلف هذا الكلام كقاعدة: «الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري».

وفي هذا الحديث أيضًا بيان مكانة الصلاة، جميع الفرائض الإسلامية والواجبات إنما أوجبها اللَّه ﷻ ورسول اللَّه ﷺ في الأرض بين أصحابه، إما في مكة وإما في المدينة، ولكن الصلاة لما أراد اللَّه أن يفرض الصلوات رفع نبيه -عليه الصلاة والسلام- إليه، وقربه إليه فخاطبه، فأوجب عليه خمسين صلاة، فجعل النبي ﷺ بإشارة من أخيه موسى عليه السلام يشفع لنا، فشفَع لنا عند اللَّه، فتردد بين موسى وبين المكان الذي سمع فيه كلام اللَّه عدة مرات لطلب التخفيف، فخفف اللَّه عنَّا الصلوات بعد أن كانت خمسين صلاة إلى خمس صلوات من حيث العدد[1]، والأجر باقٍ إن شاء اللَّه، وهذا دليل على مكانة الصلاة في الإسلام.

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/ ١٣٢)، ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول اللَّه ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات (١/ ١٤٨)، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول اللَّه ﷺ قال: . . . . فذكر حديث المعراج بطوله، ثم قال: قال ابن شهاب: فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام». قال ابن حزم وأنس بن مالك: قال النبي ﷺ: «ففرض اللَّه على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض اللَّه لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعني فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك فقلت: استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك».

وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينة، والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ

قوله: « وصلَّى في مكّةَ ثلاثَ سنينَ، وبعدَها أُمِرَ بالهجرةِ إلى المدينةِ ».

الشرح: وصلى رسول اللَّه ﷺ بعد أن فرضت عليه الصلوات الخمس، صلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أُمر بالهجرة إلى المدينة، بعد أن مهد للهجرة إلى المدينة لأصحابه المستضعفين بالهجرة إلى الحبشة، كما سيأتي.

قوله: « والهجرةُ: الانتقالُ مِنْ بلدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ ».

الشرح: الهجرة في الاصطلاح: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وكيف سميت هجرة الصحابة من مكة إلى الحبشة هجرة؟ إذ الحبشة ليست دار إسلام، بل دار كفرٍ، وإن كان الكفر يتفاوت، وهم كانوا نصارى من أهل الكتاب؟ هاجر الصحابة من أذى المشركين إلى الحبشة بإشارة من رسول اللَّه ﷺ، وأرض الحبشة ليست دار إسلام، وهنا يطلق عليها من الناحية اللغوية هجرة.

والهجرة في اللغة: الانتقال من مكان إلى مكان.

ودائمًا تلاحظون المعنى اللغوي أوسع من المعنى الشرعي الاصطلاحي، مجرد الانتقال من بلد إلى بلد يسمى هجرة لغةً، وشرعًا لا يسمى هجرة إلا إذا كان الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، ثم هجرة الصحابة عند التحقيق ليست الهجرة المعروفة، ولكنها رحلة دعوة وتبليغ ونشر للدعوة، وليشرحوا الدعوة الجديدة في القارة الإفريقية.

هذا الذي أزعج أهل مكة، قالوا: دعوة الرجل خرجت إلى إفريقيا، إلى النجاشي، وكان معروفًا لديهم، لذلك تضايقوا إلى أن اختاروا وفدًا يرأسه أدهى رجالات العرب: عمرو بن العاص، فأخذوا الهدايا التي تعجب الملوك فدخلوا على النجاشي وعلى البطارقة كما يقولون، ورشُّوا الأرض بالهدايا ليقبل طلبهم، ما هو الطلب؟ أن يسلِّم لهم هؤلاء الوفد. فتقدم وفد قريش وشرحوا وطعنوا في وفد محمد ﷺ، وقالوا: إن هؤلاء سفهاء، هكذا دائمًا أهل الباطل يصفون أهل الحق بالسفاهة والجنون وقلة الفهم،

.....

قالوا: هؤلاء سفهاء خرجوا من دين آبائهم، ولم يدخلوا في دينك، كأنه يريد أن يقول: لا يوجد هنا غير ديننا ودينك أيها النجاشي، وهؤلاء ليسوا في دينك ولا في دين آبائهم، بدليل أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك بتحية ملوك الحبشة، لأنهم سفهاء، هكذا دعاهم.

وجاءوا يتقدمهم جعفر بن أبي طالب ﷺ، فوقف بالباب ورفع صوته قائلًا: يستأذن عليك حزب اللَّه، بأعلى صوته، صوت غريب من رجل غريب، قال النجاشي: فليُعِدْ. فأعاد: يستأذن عليك حزب اللَّه، وقع في نفس النجاشي بأن القوم ليسوا بعاديين، قال: فليدخلوا، فدخل جعفرٌ يتقدمهم، دخل عليه أَنِفًا غير منحنٍ واقفًا، فعند ذلك سأله النجاشي لماذا لم تسجدوا لي؟ أي: لم تحيني بتحية قومي، قال: لا نسجد لك، إنما نسجد للذي ملَّكَكَ، أي: للذي جعلك ملِكًا، اللَّه هو الذي يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، الذي ملكك هو الذي يستحق العبادة والسجود، تأثر الرجل فجعل يسألهم عن الدين الجديد، وعن الرسول الجديد وما جاء به وما نزل عليه، باختصار عرف الحقيقة ورد الهدايا لوفد قريش، فطردهم فرجعوا خاسرين لم ينجحوا.

ولما أكرم أصحاب رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وفيهم آل البيت بل بعض بنات النبي -عليه الصلاة والسلام- أكرمه اللَّه بالإسلام، فصار أول ملك من الملوك المعاصرين آمن بالرسول ﷺ وأعلن إيمانه، هكذا معنى هجرة الصحابة إلى الحبشة، ليست الهجرة المعروفة المعهودة، وإنما هي دعوة إلى اللَّه وتبليغ لرسالة اللَّه ﷻ، وشرح لدين اللَّه الجديد، ليعرف القوم هناك، وتنتشر الدعوة، وتخرج من الجزيرة، وهذا هو هدف الهجرة.

والهجرةُ فَرِيضةٌ على هذه الأمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ، وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ. والدليلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

قوله: «والهجرةُ فَرِيضةٌ على هذه الأمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّركِ إلى بلدِ الإسلامِ».

الشرح: والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية حتى تقوم الساعة، وفي هذا الوقت توجد أنواع من الهجرة الغريبة:

١- يهاجر بعض المسلمين بعد أن يتضايقوا في أرض ولم يتمكنوا من إظهار دينهم وتعبُوا من المتابعة والاستفهامات، يهاجرون إلى بعض دول أوربا هجرة، ويتمكنون من إقامة شعائر الدين هناك، يبنون المساجد والمدارس، وفي فرنسا بلغني أنه تحولت مدينة كأنها مدينة عربية إسلامية من كثرة المساجد والمدارس، قام بذلك بعض المهاجرين من العرب الذين يحملون المعلومات من الحرمين بواسطة التسجيل، وينشرون الدعوة هناك بالأشرطة، فانتشرت الدعوة هناك على المنهج السلفي -بحمد الله تعالى- وهم يعملون في الدعوة أكثر مما نعمل، نحن نعمل في بلد إسلامي آمنين على أنفسنا وأموالنا، وأولئك يعملون في دار الكفر، حولوا بمجهودهم بتوفيق الله تعالى مدنًا أصبحت دار إسلام، أفتى لهم بعض المشايخ أن تلك المدينة أصبحت دار إسلام، لهم أن يعيشوا فيها ولا يتضايقوا، ولا يقولون: نحن هاجرنا من دار الإسلام إلى دار الكفر، لأنهم تمكنوا من تحويل مدينتهم إلى دار إسلام ولله الحمد والمنة.

وهكذا توجد بعض أنواع الهجرة في هذا الوقت من المسلمين ومن العرب يتضايقون في أرضهم فيصبحون غرباء، فيهاجرون فيفتح الله عليهم هناك، ويعيشون مرفوعي الرأس يدعون إلى دين الله تعالى بالحرية، ومثل هذا جائز، استدلالًا بهجرة الصحابة إلى الحبشة، وأنهم عاشوا هناك يعبدون الله تعالى بحريتهم بعد أن تضايقوا في مكة.

٢- وأما هجرة أفرادٍ من المسلمين إلى أوربا، إلى أمريكا، إلى الدول الشرقية،

.....

ليعيش وحيدًا بين الكفار لا يستطيع أن يظهر شعائر دينه، وربما كُلِّفَ كما بلغنا أن يترك صلاة الظهر والعصر ويجمع كل يوم صلاة النهار إلى الليل، يصلي في الليل وفي النهار لا يُمَكَّن، ويتطور الأمر إلى أنه يترك الجمعة مطلقًا، لأن الإجازة عندهم يوم الأحد، ويوم الجمعة يوم عمل، يضطر إلى أن يطيع جورج مدير الشركة، عبد الرحمن يطيع جورج! وجورج يقول له: عندنا إجازة يوم الأحد، الجمعة لا، إن شئت عملت عندنا وإن شئت تركت، يعيش هناك حياة الحيوان للأكل والشرب والنكاح ليس عنده غير هذا، يترك دينه، مثل هذه الحياة غير جائزة، من ابتلي بمثل هذه الهجرة أي: كأن يهاجر وحده ليعيش هناك بين الكفار ذليلًا ناسيًا عزَّ الإسلام، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1] ناسيًا هذا المعنى، يعيش تحت إدارة جورج متذللًا مُطئطئًا رأسه أمامه يا سيدي يا سيدي يطلب الإجازة، وجورج لا يجيز.

ومثل هذه الحياة حرام، وحرام أن يعيش مسلم كهذه الحياة في بلاد غير بلاد الإسلام، وإذا أوذيَ مسلمٌ في بلده وهناك بلدٌ إسلامي يستطيع أن يعيش فيه ويعبد اللَّه بحريته يأمن على نفسه وماله ودينه وجب عليه أن يهاجر، اللَّهم إلا إذا كان بقاؤه هناك تحت الإيذاء فيه مصلحة للدعوة الإسلامية، قد يؤذى في نفسه وفي ماله لكنه يؤثر ببقائه هناك، كأن كان طالب علمٍ أو من العلماء، ينشر العلم والدعوة سرًّا في بيته وفي كل مناسبة، صابرًا على الأذى، مثل هذا لا ينبغي أن يهاجر، ينبغي أن يبقى هناك صابرًا على الأذى ما لم يؤمر بكفر بواح، وما لم يُنه عن الصلوات، أما إذا كان مجرد الإيذاء في نفسه وماله عليه أن يصبر فيبلغ دعوة اللَّه هناك.

وسبق أن قلنا: الهجرة في اللغة: الانتقال من كان إلى مكان، وفي الاصطلاح: الانتقال من دار الشرك إلى دار الإيمان، أو الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، وهذا التعريف الثاني زاده الإمام النووي[2] وبه يصح إطلاق الهجرة على هجرة أصحاب

---

(١) [سورة المنافقون: ٨].

(٢) النووي: هو الإمام الحافظ الفقيه المحدث يحيى بن شرف الدين بن مري بن حسن الحزامي النووي الشافعي، أبو زكريا محي الدين، ولد رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (٦٣١ هـ)، وتوفي -رحمه اللَّه تعالى- سنة (٦٧٦ هـ) في بلده نوى ودفن فيها. انظر كتاب: «الإمام النووي وأثره في الحديث وعلومه» لـ: أحمد الحداد.

.....

رسول اللَّه ﷺ إلى الحبشة، وإلا على التعريف الأول لم يكن انتقالهم من دار الكفر إلى دار الإسلام، ولكن كان انتقالهم من دار الخوف على الدين وعلى النفس إلى دار الأمن والأمان، من مكانٍ كانوا يخافون فيه على أنفسهم ودينهم ويخافون على عبادة اللَّه تعالى بحريتهم، انتقلوا إلى مكان يأمنون فيه على أنفسهم ودينهم وعبادتهم، بهذا المعنى يصح اصطلاحًا إطلاق الهجرة على سفر أصحاب رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- إلى الحبشة، وإلا فتكون هجرتهم هجرة لغوية، ويكون الهدف كما قلنا نشر الدعوة وتبليغ الناس في إفريقيا الدين الجديد وما جاء به خاتم النبيين محمد ﷺ.

قوله: «وهي باقيةٌ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ...﴾ الآية [1]».

الشرح: والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام وهي باقية حتى تقوم الساعة، حتى قال بعض الأئمة كالإمام مالك[2]: «إذا كان الإنسان يوجد في بلد يُسب فيه السلف الصالح ولا يستطيع منعهم وجب عليه الهجرة من ذلك المكان».

أي: لو ابتلي فردٌ مسلم يعيش بين أعداء أصحاب النبي ﷺ والتابعين ويسبونهم علنًا، وهو لا يستطيع معارضتهم ولا منعهم، فلا يجوز له البقاء بينهم، بل يجب عليه أن يغادر ويهاجر من ذلك المكان إلى مكان آخر، نص على هذا الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والدليل على وجوب الهجرة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ الآية، هذه الآية كما قال الإمام البغوي وغيره من أهل العلم: نزلت في قوم نطقوا بالإسلام ولم يهاجروا[3]، نطقوا بكلمة الإسلام: أشهد

(١) [سورة النساء: ٩٦- ٩٨].

(٢) هو شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة أبو عبد اللَّه مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غنيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الحميري ثم الأصبحي المدني، ولد سنة (٩٣ هـ) وتوفي -رحمه اللَّه تعالى- سنة (١٧٩هـ). انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨).

(٣) قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نزلت في ناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا». معالم التنزيل (٢/ ٢٧٢).

.....

أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، ولكنهم لم يهاجروا إلى رسول اللَّه ﷺ، بل بقوا بين المشركين بمكة وكانت الهجرة في ذلك الوقت شرطًا لقبول الإسلام، من اعتنق الإسلام يجب عليه أن يلحق برسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، ولا يجوز له البقاء بمكة، هؤلاء لم يخرجوا، ولمَّا خرج المشركون إلى بدر خرجوا معهم ليقاتلوا المسلمين معهم، فقُتِلوا وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ الآية.

أي: حال كونهم ظالمي أنفسهم في البقاء بين المشركين بعد أن نطقوا بكلمة الإسلام، أو ظالمين أنفسهم بالشرك، حيث لم يقبل منهم إسلامهم ونطقهم بكلمة الإسلام، واعتبروا من المشركين، فالملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: فيم كنتم؟ في أي فريق كنتم؟ هل كنتم مع المسلمين أو كنتم مع المشركين؟ فيم كنتم؟ هل كنتم في الإسلام أو في الشرك؟ استفهام تقريعي، وتوبيخ وتعيير، قالوا وهم يعتذرون: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ علم اللَّه بأن هذا العذر باطل، فلم يقبل منهم هذا العذر ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾، ويدخل في أرض اللَّه الواسعة دخولًا أوليًّا المدينة، لماذا لم تهاجروا إليها؟ ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ وهذا دليل أن اللَّه لم يقبل عذرهم، وأن عذرهم باطل، وتعليلٌ غير مقبول، ولذلك عذر اللَّه من علم منهم صحة عذرهم فقال الرب سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ هؤلاء عذرهم اللَّه من كان من الرجال والنساء والأطفال العاجزين عن الهجرة وهم باقون بين المشركين عذرهم اللَّه ﷻ فقال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ يقول عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما: «أنا وأمي من هؤلاء المعذورين من المستضعفين الذين قبل اللَّه عذرهم»[1]، هكذا إذا كان الإنسان صادقًا مع اللَّه وعلم اللَّه عذره وعجزه وأنه لا حيلة له، يقبل اللَّه عذره ويعفو عنه.

هذه قاعدة في كل شيء، اللَّه ﷻ لا تنطلي عليه الأمور، لا كما يفعله بعض الناس

---

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كنت أنا وأمي ممن عذر اللَّه -يعني: المستضعفين- وكان رسول اللَّه ﷺ يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة» انظر معالم التنزيل (٢/ ٢٧٣).

.....

الآن، يلوذون باسم الإسلام، وينادون باسم الإسلام، ويتشدقون باسم الإسلام، إذا اشتدت بهم الأمور وهم دعاة ضد الإسلام ومعادون للإسلام، وعلمانيون [1] لا إسلام لهم، ولكن إثارة للنفوس قد يعتذرون بالإسلام، فالله ﷻ لا تنطلي عليه الأمور، يجب أن يصدق العبد مع الله، من كان صادقًا في عذره، وفي إسلامه وفي تمسكه بدين الله قَبِل الله عذره ومن كان غير ذلك فلا.

هؤلاء الأولون منهم اعتذروا: ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ لم يقبل الله عذرهم لأنهم غير صادقين، ولكن عذر العاجزين فقال في حقهم: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ وعسى من الله واجب، ليس للرجاء: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

كذلك مما يذكر هنا: إذا أوجب الله شيئًا أو حرم شيئًا لابد - حكمة منه ورحمة للعباد- أن يستثني، أوجب الله الهجرة على كل من آمن، بحيث لا يقبل عذره ولا يقبل إسلامه حتى يهاجر، وذلك قبل فتح مكة، وانقطعت هذه الهجرة وهذا الوجوب بفتح مكة، وقبل ذلك لا يقبل من أحدٍ إسلام حتى يهاجر، هذه كانت كالقاعدة، ومع ذلك استثنى الله المستضعفين والمضطرين إلى البقاء الذين لا يجدون حيلة في السفر، لما حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير استثنى المضطرين إلى أكل الميتة، وأكل لحم الخنزير، وأكل الدم، رحمة منه ﷻ.

لا تجد لو تتبعت واستقرأت الكتاب والسنة قاعدة كهذه إلا وتجد الاستثناء، وذلك الاستثناء قعد منه الأصوليون قاعدة، قالوا: «الضرورات تبيح المحظورات»، بهذه المناسبة: «كان يوم بدر تبع رسول الله ﷺ رجلٌ مشرك فقال: يا رسول الله أريد أن أتَّبِعَك فأصيب معك ما تصيب، فقال له: هل تؤمن بالله ورسوله؟ فقال: لا، قال: ارجع، لن نستعين بالمشركين، أنا لا أستعين بمشرك، ارجع، فرده فتبعه مرة ثانية، قال

(١) العلمانية: هي مذهب من المذاهب الكفرية التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا، فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيدًا عن أوامر الدين ونواهيه، ولو قيل عن هذه الكلمة العلمانية أنها اللادينية لكان ذلك أدق تعبيرًا وأصدق. انظر: «العلمانية وثمارها الخبيثة» لـ: محمد الشريف (٨).

.....

له: أريد أن أتبعك لأنال مما تنال، قال له: هل تؤمن باللَّه ورسوله؟ قال: لا. قال: ارجع لن أستعين بمشرك، ولحقه مرة ثالثة فقال ما قال في المرة الأولى والثانية، فقال له النبي -عليه الصلاة والسلام-: هل تؤمن باللَّه ورسوله؟ قال: نعم. قال: انطلق. فجاهد معه -عليه الصلاة والسلام-»[1].

هذا الحديث اختلف أهل العلم في توجيهه، فمنهم من قال: إنما فعل رسول اللَّه ﷺ *ذلك لأنه علم بأن هذا الرجل سوف يسلم، إذا رده مرة أو مرتين يدخل في الإسلام*، علم ذلك بالوحي، لذلك رده في المرة الأولى والثانية حتى أسلم وأكرمه اللَّه بالإسلام، وتبع رسول اللَّه ﷺ وجاهد معه، ومن يذهب هذا المذهب منهم الإمام أبو حنيفة وأصحابه وكثيرٌ من أهل العلم يرون جواز الاستعانة بالمشرك على المشرك، لأن هذا الحديث لم يكن الغَرَض منه التحريم، ولكن الغرض منه ترغيب الرجل بالإسلام، بدليل أن رسول اللَّه ﷺ استعان بصفوان بن أمية في غزوة حنين وهو مشرك، وأقرَّ الرجل الذي علم بوحي من اللَّه بأنه كافر ومن أهل النار في بعض الوقائع، في واقعة خيبر كان يقاتل قتالًا مريرًا وقتَّلَ كثيرًا فأُعجب به الصحابة، فكان رسول اللَّه ﷺ يقول: إنه من أهل النار، اندهش الصحابة من هذا الخبر، رجلٌ يبلي بلاءً حسنًا كهذا بين يدي رسول اللَّه ﷺ، فيقول فيه الرسول ﷺ إنه من أهل النار!! تبعه أحد الصحابة ليعرف مصيره وفي النهاية جرح الرجل جرحًا شديدًا فلم يصبر، اتكأ على سيفه فقتل نفسه، فأُخبر النبي ﷺ بما جرى فقال: «أشهد أني رسول اللَّه. ثم قال: إن اللَّه لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر»[2] ومع ذلك لم يمنعه النبي ﷺ من

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير، باب كراهة الاستعانة في الغزو بكافر (٣/ ١٤٤٩) عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «خرج رسول اللَّه ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة، ففرح أصحاب رسول اللَّه ﷺ حين رأوه لما أدركه قال لرسول اللَّه ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك. قال له رسول اللَّه ﷺ: تومن باللَّه ورسوله؟ قال: لا. قال: فارجع فلن أستعين بمشرك. قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة قال: فارجع فلن أستعين بمشرك. قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء فقال له كما قال أول مرة: تومن باللَّه ورسوله؟ قال: نعم. فقال له رسول اللَّه ﷺ: فانطلق».

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الجهاد والسير، باب إن اللَّه يؤيد الدين بالرجل الفاجر (٢/ ٣٧٦)، ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ١٠٥) عن أبي هريرة ﷺ =

.....

المشاركة في القتال، من ذهب هذا المذهب يرون جواز الاستعانة بالكافر على الكافر.

وممن يذهبون مذهبًا آخر يأخذون بظاهر حديث عائشة عند مسلم في قصة بدر التي ذكرنا الآن، الذي يتبع النبي ﷺ مرتين، منهم من يأخذه على ظاهره بدون نظر إلى هذا الفقه الدقيق، يقولون لا يجوز الاستعانة بالكافر إلا عند الحاجة، نصَّ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ على كراهة الاستعانة بهم إلا عند الحاجة.

وما الفرق بين الحاجة وبين الضرورة؟ الضرورة التي هي *الاضطرار وبينهما فرق* كبير، يكره الاستعانة بهم عند بعضهم إلا عند الحاجة، وأما عند الضرورة والاضطرار يكون الاستعانة بهم إما جائزًا أو واجبًا كأكل الميتة، فأكل الميتة قد يكون جائزًا وقد يكون واجبًا، إذا كنت محتاجًا إلى أكل الميتة فجائز، وإذا كنت مضطرًّا فواجب.

الفرق بين الحاجة وبين الضرورة: إذا كنت ظمآن ترغب في شرب الماء، ولكن لو لم تشرب لا يلحقك ضرر، هذه تسمى حاجة، وأما إذا كنت مضطرًّا إلى شرب الماء بحيث لو لم تشرب يلحقك الضرر والهلاك، يجب أن تشرب وكذلك في أكل الميتة.

وفي مسألة الاستعانة بالكفار كذلك، إن كانت المسألة مسألة اضطرار، كأن خفت على نفسك ودينك ومقدساتك وبلدك وأمتك، ما لم تستعن بعد اللَّه بالكافر وتطلب منه المساعدة في مثل هذا الاضطرار، فالاستعانة بهم واجبة، وفي دون الاضطرار عند الحاجة العادية الاستعانة بهم جائزة، هذا على رأي الطائفة التي ترى عدم الجواز في الأصل، أما الذين ذهبوا المذهب الأول يرون أن ذلك جائز مطلقًا وإنما منع النبي ﷺ الرجل أن يتبعه لما ذكرنا، مما كان لعلمه أنه سوف يسلم.

= قال: «شهدنا مع رسول اللَّه ﷺ خيبر فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: هذا من أهل النار. فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالًا شديدًا فأصابته جراحة فقيل: يا رسول اللَّه، الذي قلت: إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالًا شديدًا وقد مات! فقال النبي ﷺ: إلى النار. قال: فكاد بعض الناس أن يرتاب فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت ولكن به جراحًا شديدًا، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: اللَّه أكبر أشهد أني عبد اللَّه ورسوله. ثم أمر بلالًا فنادى بالناس: إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن اللَّه ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر».

وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾.

قالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سببُ نزولِ هذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكَّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللَّهُ باسمِ الإيمانِ.

ويذهب الحافظ ابن حجر[1] مذهبًا آخر، وهو أن الاستعانة كانت ممنوعة بدليل ذلك الحديث، ثم أبيحت بدليل قصة صفوان، وعلى كلٍّ: القاعدة الفقهية التي ينبغي أن يفقهها طلاب العلم: إذا حرم اللَّه شيئًا وأكد في تحريمه نجد أنه يستثني حالات الاضطرار، منها ما نحن بصدده الآن.

قوله: «وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾[2]».

الشرح: ومن أدلة الهجرة، أي وجوب الهجرة، قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾، أي: لستم مضطرين لأن تبقوا تحت الاضطرار والاضطهاد، اخرجوا من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فاعبدوا اللَّه هناك، أو من دار الخوف والقلق إلى دار الأمن والاستقرار، فاعبدوا اللَّه تعالى هناك، الهجرة هكذا تكون واجبةً بهذه الآيات إلى أن فتحت مكة، ولكن بقي وجوب الهجرة من محل الشرك والاضطهاد والإساءة إلى المسلمين وإلى الإسلام إلى محل لا تسمع فيه كل ذلك.

قوله: «قالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سببُ نزولِ هذه الآيةِ في المسلمين الذين بمكَّةَ لم يهاجِرُوا؛ ناداهُم اللَّهُ باسمِ الإيمانِ[3]».

الشرح: يعني المؤلف بهذه الآية من سورة العنكبوت لا آية النساء، أما آية النساء

---

(١) هو الإمام الحافظ العلامة أمير المؤمنين في الحديث أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر الكناني العسقلاني الأصل المصري المولد والوفاة والمنشأ، الشافعي، قاضي القضاة، ولد سنة (٧٧٣ هـ) وتوفي سنة (٨٥٢ هـ). انظر: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر لتلميذه السخاوي (١/ ١٠١).

(٢) [سورة العنكبوت: ٥٦].

(٣) والإمام هنا نقله بالمعنى، حيث قال الإمام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في معالم التنزيل (٦/ ٢٥١): قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة، يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة إنها، أي: المدينة، واسعة آمنة.

والدليلُ على الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّى تَنْقَطِعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التَّوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ مثلُ الزكاةِ، والصّومِ، والحجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ، وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ.

فقد تقدم سبب نزولها، وانقسام الناس فيها إلى قسمين: إلى قسم عذِر وقسم لم يعذر، وهؤلاء ناداهم اللَّه باسم الإيمان، ولو ارتكبوا كبيرة بالنسبة لغير العاجزين، إلا أنهم لا يزالون مؤمنين، والعاجزون من باب أولى، وهذا يعني أن ارتكاب الكبيرة لا يكفِّر، وليس من طريقة أهل السنة والجماعة تكفير من ارتكب كبيرة ما، أيًّا كانت تلك الكبيرة، ولو كانت من الموبقات، ما لم يستحل، فمن استحل ذنبًا ولو كان ذنبًا صغيرًا يكفر بالاستحلال ولكن بالارتكاب لا يكفر..

قوله: « والدليلُ على الهجرةِ من السُّنَّةِ قولُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الهجرَةُ حتَّى تَنْقَطِعَ التَّوبةُ ولا تنقطعُ التّوبةُ حتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1] ».

الشرح: والدليل على الهجرة من السنة قوله: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة». أي: يغلق باب التوبة، «ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها »، وهذه الهجرة التي لا تنقطع ليست تلك الهجرة التي كانت واجبة من مكة إلى المدينة، تلك انقطعت بفتح مكة[2]، ولكن الهجرة من دار الشرك إلى دار الإسلام كما تقدم الشرح.

قوله: «فلمَّا استقرَّ بالمدينةِ أُمِرَ ببقيَّةِ شرائعِ الإسلامِ مثلُ الزكاةِ، والصومِ، والحجِّ، والأذانِ، والجهادِ، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وغيرِ ذلكَ مِنْ شرائعِ الإسلامِ».

الشرح: فلما استقر النبي ﷺ بالمدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام، وكان التركيز في

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الجهاد، باب في الهجرة هل انقطعت؟ (٣/ ٨)، عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»، وصححه الإمام الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٢٤١)، انظر الإرواء (١٢٠٨).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير (٢/ ٣٠٢)، ومسلم في صحيحه كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها (٢/ ٩٨٦) عن ابن عباس مرفوعًا: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا».

.....

مكة على العقيدة، على تصحيح العقيدة وبناء العقيدة وتصحيحها، ولما هاجر إلى المدينة واستقر في المدينة أمر بشرائع الإسلام مثل الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والأذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات الإسلام التي استهان بها كثيرٌ من الناس، جهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير موجود في أكثر أرض اللَّه اليوم، باسم الحرية قضي على الجهاد، فنسأل اللَّه تعالى أن يقويه وغيره من شرائع الإسلام.

وأما الجهاد فعند كثير من الناس شعارٌ أجوف يرفعون الشعار فإذا جد الجد لا جهاد، اعتذروا أو أعلنوا الجهاد المقلوب بمعنى معكوس غير الجهاد الإسلامي، أما الجهاد الإسلامي لإعلاء كلمة اللَّه قليل جدًّا من يجاهدون هذا الجهاد دون جعجعة، وفي صمت وإخلاص للَّه تعالى، وقد كشف الجهاد الأفغاني كثيرًا من الجهات التي كانت تنادي وتتخذ الجهاد شعارًا أجوف، كشفهم وفضحهم ولما قام الجهاد اعتذروا.

فليفهم شباب الإسلام وطلاب العلم معنى قول النبي ﷺ: « **انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا** »[1] وقد استشكل الصحابة قوله: «**انصر أخاك ظالمًا**» كونك تنصره مظلومًا واضح، ولكن كيف تنصر أخاك ظالمًا؟ لهذا الحديث مفهومان، مفهومٌ إسلامي، ومفهومٌ جاهلي:

١- **المفهوم الإسلامي**: هو الذي بينه النبي -عليه الصلاة والسلام-، وهو أن تكف أخاك الظالم من الظلم، وتمنعه من الظلم، وتحول بينه وبين الظلم، تكون بذلك قد نصرته.

٢- **أما المفهوم الجاهلي**: أن تَنْضمَّ إليه في ظلمه، فتظلم معه، وتؤيده وتصفق له، حتى يتمادى في الظلم بسبب تشجيعك وتصفيقك، وهذا ما يجري الآن للأسف بين الغوغائيين المنتسبين إلى الإسلام، الذين لا يفهمون من الإسلام إلا هذه الكلمة الجوفاء، واللَّه المستعان.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا (٢/ ١٩٠) عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**. قالوا: يا رسول اللَّه، هذا ننصره مظلومًا فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: **تأخذ فوق يديه**».

أخذَ على هذا عَشَرَ سنينَ وبعدَها تُوُفِّيَ -صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليهِ- ودينُهُ باقٍ، وهذا دينُه، لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه، والخيرُ الذي دلَّهَا عليْه: التَّوحيدُ، وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللَّهُ ويرضاهُ. والشَّرُّ الذي حَذَّرَهَا منه: الشِّركُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللَّهُ ويأباهُ.

قوله: « أخذَ على هذا عَشَرَ سنينَ وبعدَها تُوُفِّيَ صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليهِ ودينُهُ باقٍ».

الشرح: أخذ على هذا رسول اللَّه ﷺ يدعو إلى هذا التشريع السماوي في المدينة عشر سنين.

قوله: «وهذا دينُه، لا خيرَ إلاَّ دَلَّ الأمَّةَ عليهِ، ولا شَرَّ إلاَّ حَذَّرَهَا منْه، والخيرُ الذي دلَّهَا عليْه: التَّوحيدُ وجميعُ ما يُحِبُّهُ اللَّهُ ويرضاهُ، والشَّرُّ الذي حَذَّرَهَا منه: الشِّركُ وجميعُ ما يكرَهُهُ اللَّهُ ويأباهُ».

الشرح: توفي -صلوات اللَّه وسلامه عليه- ودينه باقٍ، لم يمت دينه معه، بل بقي لأن الدين دين اللَّه الذي أنزله، هو رب العالمين الحي الذي لا يموت، فرسول اللَّه ﷺ بلَّغ دين اللَّه ونشر العقيدة والتوحيد والشرائع، بعد أن ثبت اللَّه الإسلام والمسلمين وفهموا ما جاء به النبي ﷺ قبضه إليه، ولكن لم يقبضه إليه إلا بعد أن بلغ البلاغ النهائي، فأكمل اللَّه له دينه إشارة إلى قرب أجله -عليه الصلاة والسلام-، كأن اللَّه أعلمه في حجة الوداع في خطبة يوم عرفة وفي خطبة يوم النحر خاطب الصحابة فقال لهم: «أنتم مسئولون عني ماذا أنتم قائلون ؟» بعد أن خطب فيهم وبين لهم كل شيء، قالوا: نشهد بأنك بلغت ونصحت، ونحن نشهد معه أنه -عليه الصلاة والسلام- بلغ ونصح، فرفع الرسول ﷺ إصبعه، كان يرفعها وينكتها إليهم ويقول: «**اللَّهم اشهد، اللَّهم اشهد**».

وسميت تلك الحجة حجةَ الوداع[1] التي جرى فيها هذا الكلام، لأنه بعد أن رجع من

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى(١/ ٥٢٨)، ومسلم في الصحيح كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (٢/ ٨٩٠)، عن أبي بكرة رضي الله عنه.

بعثَهُ اللَّهُ إلى الناسِ كافَّة، وافترضَ طاعَتَه على جميعِ الثَّقلينِ: الجنِّ والإنسِ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

الحج لم يمكث في هذه الدنيا وفي هذه المدينة إلا ثمانين يومًا، والتحق بالرفيق الأعلى -صلوات اللَّه وسلامه عليه-، بعد أن بلغ ونصح لأمته -عليه الصلاة والسلام-.

وقال -عليه الصلاة والسلام- للصحابة: «**ما بعث اللَّه من نبي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**»[1] كل هذا دليل على أنه بلغ البلاغ المبين فبقي دينه، إلى هذا يشير الشيخ بقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا وحذرها منه، فأكمل اللَّه له الدين.

وفي مقدمة ذلك التوحيد، أي: إفراد اللَّه تعالى بالعبادة، فإذا أطلق التوحيد المراد به: توحيد العبادة، وجميع ما يحبه اللَّه ويرضاه، لأن الطاعات بريد التوحيد، وتثبت التوحيد وتصدق التوحيد، والشر الذي حذرها عنه الشرك وجميع ما يكرهه اللَّه ويأباه من المعاصي، وهي بريد الشرك، وتدعو إلى الشرك، وتزين الشرك للناس.

قوله: «**بعثَهُ اللَّهُ إلى الناسِ كافَّة، وافترضَ طاعَتَه على جميعِ الثَّقلينِ: الجنِّ والإنسِ**».

الشرح: بعثه اللَّه إلى الناس كافة، لا إلى العرب فقط، ولا إلى الإنس فقط، بل إلى الثقلين، وافترض اللَّه طاعته على جميع الثقلين: الجن والأنس، الطاعة المطلقة، فقد فرض اللَّه طاعته الطاعة المطلقة التي لا مراجعة فيها، التي لا تتوقف على وجود مثل المأمور به والمنهي عنه في الكتاب، هذا معنى الطاعة المطلقة لرسول اللَّه -عليه الصلاة

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٣/ ١٤٧٢)، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة قال: دخلت المسجد فإذا عبد اللَّه بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه فأتيتهم فجلست إليه فقال: كنا مع رسول اللَّه ﷺ في سفر فنزلنا منزلًا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادي رسول اللَّه: الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول اللَّه فقال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم. . . .» الحديث.

وكمَّلَ اللَّهُ به الدينَ والدليلُ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

والسلام-، ولا يوجد في المخلوقات أحد له الطاعة المطلقة إلا رسول اللَّه ﷺ.

قوله: «والدليلُ: قولُهُ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]».

الشرح: والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ هذا بالنسبة للإنس والجن داخلون هم أيضًا.

قوله: «وكمَّلَ اللَّهُ به الدينَ، والدليلُ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2]».

الشرح: «وكمل اللَّه به الدين»، والشيء الكامل لا يقبل الزيادة، والدين كامل، حيث قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الألف واللام في ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ للحضور، أي: في هذا اليوم الحاضر في حجة الوداع: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ هكذا كمل اللَّه لنا ديننا ﷺ.

لذلك كل من أحدث في هذا الدين محدثة تعتبر بدعة مردودة؛ لقوله -صلوات اللَّه وسلامه عليه-: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[3] لأن الدين تم وكمل وعلى المرء الاتباع فقط.

---

(١) [سورة الأعراف: ١٥٨].

(٢) [سورة المائدة: ٣].

(٣) سبق تخريجه (ص٢٣).

والدليلُ على موتِهِ ﷺ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

قوله: «والدليلُ على موتِهِ ﷺ: قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾».

الشرح: كثيرٌ من الغلاة الذين يدعون تعظيم رسول اللَّه ﷺ وتبجيله، إذا قلت: إن النبي ﷺ ميت يغضبون، انظروا إلى الجهل يوصل المرء إلى أي درجة، يغضب من قولك: إن النبي ﷺ مات أو ميت، كيف تقول: ميت؟ اللَّه هو الذي قال، لا يدري ماذا قال اللَّه ﷻ، ولكن يحتكم إلى العاطفة، لا يجوز عنده أن تطلق لفظة ميت أو مات على رسول اللَّه ﷺ، بينما أثبت اللَّه ذلك وأقرَّه بدون تردد، أحب الناس إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال له عند وفاته: «طبت حيًّا وميتًا يا رسول اللَّه»[1] ولا ينبغي للمسلم أن يكون عاطفيًّا إلى هذه الدرجة، حتى توقعه العاطفة في تكذيب خبر اللَّه وخبر رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي: لو كنت متخذًا خليلًا لا تخذت أبا بكر خليلًا (٣/ ١١) عن عائشة زوج النبي: «أن رسول اللَّه مات وأبو بكر بالسنح -قال إسماعيل: يعني بالعالية- فقام عمر يقول: واللَّه ما مات رسول اللَّه، قالت: وقال عمر: واللَّه ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثنه اللَّه فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول اللَّه فقبله قال: بأبي أنت وأمي طبت حيًّا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقنك اللَّه الموتتين أبدًا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد اللَّه أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ فنشج الناس يبكون. . . .» الحديث.

والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ وقولُهُ تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومَجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ.

قوله: «والناسُ إذَا ماتُوا يُبْعَثُونَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[1]».

الشرح: والناس إذا ماتوا يبعثون، أي: من الأصول التي يجب الإيمان بها: البعث بعد الموت، والدليل: قوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ أي من الأرض، والشاهد: ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ هذا هو دليل البعث.

قوله: «وقولُهُ تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[2]».

الشرح: وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي: إنباتًا، «نباتًا» اسم مصدر، والمصدر: إنبات، واللَّه أنبتكم من الأرض إنباتًا هذا هو المصدر، ونباتًا اسم مصدر، تتوضأ وضوءًا، أي: توضأ، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾، ومحل الشاهد من الآية قوله: ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾.

قوله: «وبعدَ البَعْثِ محاسبُونَ ومَجزيُّونَ بأعْمالِهِمْ».

الشرح: وبعد البعث الناس محاسبون ومجزيون بأعمالهم، بعد البعث هناك ورود الحوض، وهناك الميزان، وهناك الحساب، وعرض الأعمال، اختلف أهل العلم في الترتيب بين هذه الأشياء، ولكن بعضهم يميل إلى أن أول شيء ورود الحوض، لأن المقام يقتضي ذلك، لأن الناس يبعثون من قبورهم وهم عِطاش بحاجةٍ إلى الماء، لذلك منَّ اللَّه على أمة محمد ﷺ بالحوض المورود، الحوض العظيم الذي يشرب منه أهل الجنة، يرد المؤمنون هذا الحوض العظيم، ورسول اللَّه ﷺ ينتظرهم هناك، وهو فرَطُ أمته على الحوض، ومنبره على حوضه، وهذا الحوض العظيم الذي الناس بحاجةٍ ماسة إلى الشرب منه، وهم قد بُعثوا من قبورهم وهم في شدة العطش، ولكن بعض الناس

---

(١) [سورة طه: ٥٥].

(٢) [سورة نوح عليه السلام: ١٨].

.....

يُرَدُّون ويُطردون من الحوض، ورسول اللَّه ﷺ لا يدري عن سبب طردهم، لذلك يقول: «يا رب أمتي أمتي، أو: أصحابي أصحابي، فيقال له: لا تدري ما أحدثوا بعدك، إن هؤلاء غيروا وبدَّلُوا بعدك، فيقول النبي ﷺ: سحقًا لمن بدَّلَ وغيَّرَ»[١].

استدل أهل العلم بهذا الحديث على أن رسول اللَّه ﷺ لا يدري ما يحدث بعده من التغيير والتبديل والردة والابتداع في هذا الدين، لا يدري عن ذلك، لأن علم الغيب العام للَّه وحده، والأنبياء لا يعلمون في حياتهم إلا بإعلام اللَّه إياهم بعض الأمور، ولكن يتعارض هذا الحديث مع حديث أن الأعمال تعرض على رسول اللَّه ﷺ، أعمال أمته، ورد في ذلك الحديث: «إن رأى خيرًا حمد اللَّه، وإن رأى غير ذلك استغفر اللَّه لأمته»[٢].

قال أهل العلم في التوفيق بين الحديثين: إن حديث عرض الأعمال غير صحيح، وعلى فرض صحته، يعلم بالجملة لا بالتفصيل. أما بالتفصيل: أن فلانًا هو الذي غير، وهو الذي بدَّل، وهو الذي ارتد، لا يعلم ذلك، وهذا للتوفيق بين هذا الحديث وبين حديث العرض على الحوض، وطرد بعض الناس من الحوض.

وعلى كلٍّ يقال: إن أول ما يحصل بعد البعث ورود الحوض، ثم الميزان، ثم الحساب والعرض، والمراد بالحساب المناقشة «من نُوقِش الحساب عُذِّب»[٣]،

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه كتاب الرقاق، باب الحوض (٤/ ٢٠٦)، ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (٤/ ١٨٠٠)، عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي! فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»، وفي رواية لهما عن أبي سعيد الخدري وفيها: «فأقول سحقًا سحقًا لمن غير بعدي».

(٢) حديث ضعيف: رواه البزار في المسند (٥/ ٣٠٨) عن عبد اللَّه بن مسعود، وذكره ابن سعد في الطبقات (٢/ ١٧٤) عن بكر بن عبد اللَّه المزني، وقال الإمام الألباني عنه في السلسلة الضعيفة رقم (٩٧٥): رواه البزار عن ابن مسعود مرفوعًا به، وهو حديث ضعيف بجميع طرقه، وخيرها حديث بكر بن عبد اللَّه المزني وهو مرسل وهو من أقسام الحديث الضعيف عند المحدثين، وحديث عبد اللَّه خطأ.

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب (٤/ ٢٢٠٤)، عن عائشة قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عذِّب، فقلت: أليس قد قال اللَّه ﷻ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال: ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض؛ من نوقش الحساب يوم القيامة عذِّب».

.....

والعرض عرض الأعمال، وعرض الكتب، وبعد ذلك الناس مجزيون بأعمالهم، وعند الجزاء من الناس من يكون جزاؤهم لكثرة أعمالهم الحسنة والشدة وإخلاصهم وتحقيقهم التوحيد من يثابون بعدم دخول النار، بل ليس عليهم حساب ولا عقاب ويدخلون الجنة من أول وهلة، أولئك «**الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون**»[1]، وبعد ذلك من الناس من تتساوى سيئاتُهم وحسناتُهم فيشفع فيهم رسول اللَّه ﷺ أو غيره، لأن هذه من الشفاعة العامة فيدخلون الجنة قبل أن يدخلوا النار، ومن الناس من يؤمرون بدخول النار لكثرة أعمالهم السيئة وقلّة أعمالهم الحسنة، وبعد الأمر بهم إلى النار يشفع فيهم رسول اللَّه ﷺ بإذن ربه فيحوَّلُون إلى الجنة.

ومن الناس من لا تُسعِفهم الشفاعات قبل دخول النار فيدخلون النار، فيشفع فيهم رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام- وغيره من الشافعين، وقد يكونون من أصحاب الكبائر فيخرجون من النار بشفاعة الشافعين، إلى هذا يشير رسول اللَّه ﷺ بقوله: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»[2] وفي النهاية ينظر من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرةٍ من إيمان، يُخرجون من النار ويُطرحون في نهر الحياة، وينبتون كما ينبت البقل، أي: بعد التطهير والنظافة يدخلون الجنة، لأن الجنة دار الطيبين، لا يدخلها إلا الطيبون.

الخلاصة من عقيدة أهل السنة والجماعة: اعتقاد أنه لا يُخلَّدُ في النار من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، وفي لفظ: من خير، المراد الإيمان، سواءً كان ذلك بشفاعة الشافعين أو برحمة رب العالمين ﷻ، هكذا الناس مجزيون بأعمالهم، وقد يسعفهم اللَّه ﷻ كما سبق بشفاعة الشافعين من غير عمل، أي: بعد أن عجزت أعمالهم.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في الشفاعة (٥/ ٧٠)، والترمذي في الجامع أبواب صفة القيامة والرقائق، باب ما جاء في الشفاعة (٤/ ٢٣١) عن أنس بن مالك به، وصححه الإمام الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (١٩٨٣).

والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾، ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

قوله: «والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾[1]».

الشرح: والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ دون زيادة، وهذا من فضل اللَّه وكرمه ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ بل كثيرٌ منهم يجزون بالحسنى وزيادة، الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه اللَّه تعالى، بالنسبة إلى المؤمنين الذين يؤمنون بصفة الوجه، أما الذين ينكرون وجه اللَّه الكريم فهؤلاء جديرون وقمنٌ بأن يحرموا النظر إلى وجه اللَّه تعالى، لأنهم لم يؤمنوا به.

قوله: «ومَنْ كَذَّبَ بالبعثِ كَفَرَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2]».

الشرح: ومن كذب بالبعث كفر، التكذيب بالبعث كفرٌ باللَّه، لأنه تكذيب بخبر اللَّه وخبر رسول اللَّه ﷺ، ومن كذب خبر اللَّه سواء كان في البعث، أو في بعض صفاته، أو في الأحكام والعبادات، أو أي خبر يرتد، وذلك من نواقض الإسلام، والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ وصفهم بأنهم كفروا ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ الذي أوجدكم من لا شيء لا يعجز من أن يبعثكم بعد الموت، لأنه من الناحية النظرية العقلية الابتداء أصعب من الإعادة، ليس على اللَّه شيء صعب.

---

(١) [سورة النجم: ٣١].

(٢) [سورة التغابن: ٧].

وأرسلَ اللَّهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

قوله: «وأرسلَ اللَّهُ جميعَ الرُّسلِ مبشِّرينَ ومُنذرينَ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1]».

الشرح: وأرسل اللَّه جميع الرسل مبشرين ومنذرين، هذا فيه بيان لوظائف الرسل، وظيفتهم: التبشير للمؤمنين والإنذار للعصاة، والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ لئلاَّ يقولوا: ما بعثت إلينا رسلًا ولا أنزلت إلينا كتبًا، أما بعد إرسال الرسل وإنزال الكتب، والبيان من الرسل، ومِنْ أَتبَاعِ الرسل، لا حجة للناس على اللَّه.

هنا لنا وقفة: وهل إرسال الرسل وإنزال الكتب إن لم يكن هناك بيان أو حالت شبه بين بعض الناس وبين فهم كتاب اللَّه، أو بعبارة أخرى بينهم وبين فهم ما جاء به رسول اللَّه ﷺ، هل يعذرون أم لا ؟

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2] لتبين، لابد من البيان، إذا بين الرسول ﷺ وقد بين بالفعل بيانًا شافيًا، لكن حصلت أحيانًا شبه وضلالات حالت بين الناس وبين فهم ذلك البيان، كالذي حصل بعد أن نشأ علم الكلام بين المسلمين من عهد العباسيين إلى عهدنا هذا، التبس الأمر عند كثير من الناس في باب الأسماء والصفات، ثم دخل التصوف، ودخلت وحدة الوجود بين المسلمين، والتبس الأمر على كثير من الناس في باب العبادة، حصل خلطٌ، وعدم التفريق بين حق اللَّه تعالى وحق رسوله -عليه الصلاة والسلام- وحقوق الصالحين، وانحرف كثير من الناس في باب العقيدة، وفي باب العبادة، وفي باب الأحكام، عن الجادة بسبب كثرة الشبهات، حتى جهلوا ما جاء به رسول اللَّه -عليه الصلاة والسلام-، هل هؤلاء يعذرون حتى يتبين لهم الحق ؟ أم أنه يكفي مجرد إرسال الرسل وإنزال الكتب وإن حصل ما حصل من الشبه التي حالت بين

---

(١) [سورة النساء: ١٦٥].

(٢) [سورة النحل: ٤٤].

.....

كثير من الناس وبين فهم ما جاء به رسول اللَّه ﷺ؟

والذي يليق بعدل اللَّه تعالى والذي فهمه أهل التحقيق من علماء المسلمين: أن من حصل له شيء من ذلك يعذر، أما من تبين له الحق، وتبين له الهدى وأبى إلا أن يتَّبع غير سبيل المؤمنين بعد تبين الحق عنده عنادًا أو تعصبًا لمألوفاته وتقاليده هؤلاء لا يعذرون، وأما قبل أن يتبين لهم الهدى، ويحسبون أن ما هم عليه من الشرك والضلال ونفي الصفات هو الهدى، فهؤلاء يعذرون.

لمعرفة هذه النقطة المهمة عليكم أن ترجعوا إلى كتب شيخ الإسلام[١] أو إلى كتاب مختصر يدلك على المراجع من كتب شيخ الإسلام لأخينا الشيخ ابن عثيمين[٢] وهو «القواعد المثلى»، بعد أن ذكر هذه المسألة [٣]، وأن الناس يعذرون في أصول الدين وفروع الدين على حد سواء، ما لم يتبين لهم الهدى ويتبعوا بعد ذلك غير سبيل المؤمنين واللَّه أعلم، ولقد لخصت كذلك هذا المعنى في كتاب: «الصفات الإلهية» في الباب الخامس لتنقلوا منه المراجع المذكورة هناك [٤].

---

(١) هو شيخ الإسلام والمسلمين الإمام المجدد الفقيه البحر العلامة الحجة قامع البدعة أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي، ولد بحران سنة (٦٦١ هـ) وسكن دمشق وتوفي مسجونًا بقلعة دمشق سنة (٧٢٨هـ) -رحمه اللَّه رحمة واسعة-. انظر كتاب: «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» للحافظ البزار.

(٢) هوا لإمام العلامة الفقيه أبو عبد اللَّه محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي ولد سنة (١٣٤٧هـ) وتوفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٤٢١ هـ) ودفن بمكة في مقبرة العدل بجوار شيخه ابن باز -رحم اللَّه الجميع-. انظر كتاب: «ابن عثيمين الإمام الزاهد». د/ ناصر الزهراني.

(٣) انظر: القواعد المثلى في صفات اللَّه وأسمائه الحسنى (ص١٤٨- ١٥٤) تحقيق أشرف عبد المقصود.

(٤) انظر: الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية (ص٣٥٣- ٣٥٩)، طبعة مكتبة الفرقان.

وأولُهُمْ نوحٌ عليه السلام وآخِرُهُم محمدٌ ﷺ وهو خاتِمُ النَّبيينَ، والدليلُ على أنَّ أوَّلَهُم نوحٌ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾.

قوله: «وأولُهُمْ نوحٌ عليه السلام».

الشرح: وأولهم نوح عليه السلام، أول الرسل، وهي مسألة خلافية هل أولهم نوح أو آدم ؟ الذي عليه أكثر أهل العلم أن أولهم نوح، لأنه إنما وقع الشرك في قومه، ولم يقع الشرك قبل ذلك.

قوله: «وآخِرُهُم محمدٌ ﷺ وهو خاتِمُ النَّبيينَ».

الشرح: وآخرهم محمد -عليه الصلاة والسلام-، وهو خاتم النبيين، ومن أنكر كونه خاتم النبيين وادعى النبوة بعده سواءٌ لنفسه أو لغيره فهو مرتد.

قوله: «والدليلُ على أنَّ أوَّلَهُم نوح: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾[1]».

الشرح: هذه الآية التي استدل بها المؤلف وقبله غير واحدٍ من أهل العلم، ويعترض بعضهم على دلالتها على المراد، وأنها ليست نصًّا في أن أول الرسل نوح ولكنها ظاهر، وفرق بين النص وبين الظاهر، الظاهر: ما يحتمل معنيين، والنص: ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، والآية ظاهر ليست بنص في المسألة، [والذي عليه جمهور أهل العلم أن أول الرسل نوح ﷺ لدلالة الآية على ذلك، وإن لم تكن صريحة الدلالة، ولكن الواقع يؤيد هذه الدلالة، لأن الشرك لم يقع قبل نوح ﷺ؛ فآدم نبي مكلَّم وليس برسول، وهذا هو الصحيح][2]، والله أعلم.

---

(١) [سورة النساء: ١٦٣].

(٢) هذا من (ب).

وكلُّ أمَّةٍ بعثَ اللَّهُ إليها رسولًا مِنْ نوحٍ إلى محمدٍ، يأمُرُهُمْ بعبادةِ اللَّهِ وحدَهُ، وينْهَاهُمْ عنْ عبادَةِ الطاغوتِ، والدَّليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وافترضَ اللَّهُ على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ باللَّهِ.

قوله: «وكلُّ أمَّةٍ بعثَ اللَّهُ إليها رسولًا مِنْ نوحٍ إلى محمدٍ، يأمُرُهُمْ بعبادةِ اللَّهِ وحدَهُ، وينْهَاهُمْ عنْ عبادَةِ الطاغوتِ والدَّليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[1]».

الشرح: وكل أمةٍ بعث اللَّه إليهم رسولًا من نوح إلى محمد -عليهما الصلاة والسلام-، يأمرهم بعبادة اللَّه وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، أي: يفتتح دعوته بالدعوة إلى عبادة اللَّه، ما من نبيٍّ أرسل إلا وجعل مفتاح دعوته: اعبدوا اللَّه ما لكم من إله غيره، هذا مفتاح دعوة الرسل جميعًا.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، والآية تفسير معنى لا إله إلا اللَّه، لأنه كما تقدم لا إله إلا اللَّه تفسيرها في القرآن ذكر في عدة آيات، منها هذه الآية، وإن كان بالنسبة لنَظم كلمة التوحيد ليست على ترتيبها، ولكن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ يساوي «إلا اللَّه»، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ يساوي «لا إله» فتأتي الآية بعد هذا على ترتيب لا إله إلا اللَّه.

قوله: «وافترضَ اللَّهُ على جميعِ العبادِ الكفرَ بالطاغوتِ والإيمانَ باللَّهِ».

الشرح: وافترض اللَّه على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان باللَّه وحده، وما لم يكفر الإنسان بالطواغيت لا ينفعه ولا يجديه إيمانه، أي: لابد من الجمع بين الكفر والإيمان، كما جمعت كلمة التوحيد بينهما، كلمة التوحيد جمعت بين الكفر والإيمان، وأن شئت قلت: بين النفي والإثبات، «لا إله» نفيٌ أو كفرٌ بما يعبد وبمن يعبد من دون اللَّه، «إلا اللَّه» إثبات العبادة للَّه وحده.

---

(١) [سورة النحل: ٣٦].

قال ابنُ القيِّم-رحمه اللَّه تعالى-: معنى الطاغوت: ما تجاوزَ بِهِ العبدُ حدَّهُ مِنْ معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاع.

قوله: «قال ابنُ القيِّم-رحمه اللَّه تعالى-: معنى الطاغوت: ما تجاوزَ بِهِ العبدُ حدَّهُ مِنْ معبودٍ، أو متبوعٍ، أو مطاع[1]».

الشرح: الطاغوت: مأخوذ من الطغيان، والطغيان: مجاوزة الحد، طغى الماء، طغى فلان أي: تجاوز حده، الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع، حد العبد ما هو؟ عبادة اللَّه وحده، لكونه عبدًا يعبد ربه الذي خلقه، فإذا تجاوز هذا الحد، بصرف نوعٍ من أنواع العبادة لغير اللَّه فيكون بذلك قد تجاوز الحد وصار ذلك طغيانًا، مَن تجاوز الحد في متبوعٍ اتبعه في تحليل ما حرم اللَّه، وتحريم ما أحل اللَّه، في معبودٍ عَبَده، تذلل له، وخضع له، وأحبه كما يحب اللَّه -لأن العبادة غاية الذل مع غاية الحب-، من أحب غير اللَّه مع اللَّه وخضع له وتذلل له، فيكون بذلك قد عبد ذلك الغير وتجاوز به حده.

ومن هنا تعلم أن العبادة ليست مجرد الصلاة والصيام والزكاة والحج، أي أركان الإسلام فقط، بل العبادات أنواع، وحقيقتها: غاية الذل مع غاية الحب، بما في ذلك الدعاء، لذلك صار الدعاء مخ العبادة، لأن فيه تذللًا ورجاءً وطمعًا هذا المعنى هو العبادة.

والمتبوع من يقلده ويتبعه ويحلل له ويحرم له، كالذين يتبعون الأحبار والرهبان، وكذلك المطاع، هما إما مترادفان أو متقاربان، شخصٌ أطيع في غير شريعة اللَّه، أو مخالفًا بذلك شريعة اللَّه في التحليل والتحريم يقال له: مطاع، ويقال له: متبوع، هذا هو الطاغوت، طبق هذا على واقع الناس تجد كثيرًا وكثيرًا جدًّا من الذين يطاعون في نفي صفات اللَّه تعالى، من الذين يطاعون في عبادة غير اللَّه، من الذين يطاعون في التحليل والتحريم، وفي الأحكام الدستورية، كثيرًا ما تجد الذين يطيعون ويتبعون رجال التشريع الذين يُسمون رجال التشريع، والتسمية نفسها جريمة، تسمية بني آدم أنهم رجال التشريع جريمة.

---

(١) انظر: إعلام الموقِّعين (١/ ٦٠) طبعة إحياء التراث.

.....

التشريع والمشرع هو اللَّه وحده، والذي يبلغ شريعة اللَّه محمد ﷺ ومن قَبلَهُ من الرسل، وأتباعه منفذون ومطبقون من الملوك والرؤساء والأمراء والعلماء، منفذون ومطبقون وليسوا بمشرعين، التشريع للَّه، ويطلق على الرسول ﷺ بأنه مشرع، ولكن المشرع الحقيقي هو اللَّه إنما يطلق على الرسول ﷺ لأنه له الطاعة المطلقة، وقد يأتي بأحكام غير موجودة في القرآن، كتحريم الحمر الأهلية يوم خيبر، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها زيادة على ما في القرآن، له الطاعة المطلقة، بهذا الاعتبار يطلق عليه بأنه مشرع -عليه الصلاة والسلام-، وباعتبار أنه مبلِّغ عن اللَّه تشريع اللَّه ﷻ، وإلاَّ المُشَرِّع الحقيقي هو اللَّه ﷻ.

وإطلاق رجال التشريع على أولئك الدكاترة الذين يتخرجون من كليات الحقوق، المستشار فلان من رجال التشريع، يا ليت شعري! ما يخجل هذا الإنسان عندما يقال له: أنت من رجال التشريع؟ أنت تشرع من أين لك التشريع ؟ معنى ذلك أنك تجعل نفسك كأنك اللَّه رب العالمين، أو رسول اللَّه ﷺ ليس لك حق في التشريع، والتسمية نفسها غلط، ومن الجاهليات التي أَلِفَهَا كثيرٌ من الناس فأصبحت من السهولة بمكان أن يطلقوا رجال التشريع على كثير من المتعلمين الذين يتخرجون من كليات الحقوق.

والطواغيتُ كثيرونَ ورءوسُهُمْ خمَسةٌ: إبليسُ لعنَهُ اللَّهُ، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ، ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ، ومَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلمِ الغيْبِ ومَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللَّهُ.

قوله: « والطواغيتُ كثيرون، ورءوسُهُمْ خمَسةٌ: إبليسُ لعنَهُ اللَّهُ، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ، ومَنْ دعا الناسَ إلى عبادَةِ نفسِهِ».

الشرح: والطواغيت كثيرة- وربما اليوم أكثر- ورءوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عُبِدَ وهو راضٍ، ومن عبد وإن لم يدعو الناس إلى عبادة نفسه، لكن رأى الناس يعبدونه فرضي واستراح إلى تلك العبادة، منصب كبير، الناس تسجد له، وتركع له، وتذبح له، ورضي بذلك هذا من الطواغيت، أو من دعا الناس إلى عبادة نفسه، يزين للناس عبادة نفسه فيقول: أنا من آل فلان، من آل البيت، أنا كذا وكذا، ونحن لنا الحق بأن يستغاث بنا، وتُجعل لنا النذور، وهكذا يزينون للناس عبادة أنفسهم.

والناس عاطفيون في الغالب الكثير الرجل الذي من آل البيت وينتسب إلى بيت النبوة خصوصًا في البلدان الأعجمية، بأدنى إشارة يُعبد، وإذا أشار إليهم أدنى إشارة إلى عبادة نفسه والتذلل له عبدوه وبالغوا فيه، ولو حاول أن يتخلص بعد ذلك فقال: لا، يقولون إنما يقول ذلك من باب التواضع، لأنه من المتواضعين، ويزدادون في عبادته، هذا هو واقع كثير من الناس للأسف.

قوله: « ومَنِ ادَّعى شيئًا مِنْ عِلمِ الغيْبِ ».

الشرح: ومن ادعى شيئًا من علم الغيب، كالكاهن، والعراف، والساحر، والمنجم، وصاحب الكف، وصاحب الفنجان، وصاحب الرمل والتراب، الذين يكتبون ويخططون في الرمل والتراب، ويخبر الناس علم الغيب من تلك الخطوط ويقرأ في الفنجان، وأنت لا ترى في الفنجان شيئًا، وهو يزعم أنه يقرأ في هذا الفنجان الذي تشرب به القهوة فيخبرك بالغيب، وينظر في الكف فيقرأ في الكف فيخبرك بالغيب، ويدعي أنه يعرف مكان الضالة، الناقة التي ضلت في المكان الفلاني، والسيارة التي سُرقت في الطريق الفلاني، في الجراج الفلاني، وهكذا، هؤلاء كلهم كفرة، ومن الطواغيت، ومن رؤساء الطواغيت، لأنهم كلهم زعموا أنهم يعلمون الغيب لذلك قال

.....

النبي ﷺ: «من أتى كاهنًا فسأله فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد»[١]؛ لأن الذي أنزل على محمد -عليه الصلاة والسلام- هو القرآن، والقرآن يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢].

ومن ادعى علم الغيب بأي وسيلة من الوسائل؛ خصوصًا هذه الوسائل الوهمية التي لا حقيقة لها كافر مرتد، ورئيس من رؤساء الطواغيت، ولكثرة انتشار هذه الأمور الجاهلية في صفوف المسلمين في كثير من الأقطار، يجب على طلاب العلم مكافحة ذلك، ودعوة الناس إلى الكفر بهم، مكافحة هؤلاء لا تقل درجةً عن مكافحة المخدرات، بل مكافحة هؤلاء أشد وجوبًا من مكافحة المخدرات التي تخدر الأعصاب والأعضاء، هؤلاء يخدرون الإيمان، ويفسدون الإيمان، ويوقعون الناس في الكفر بالله تعالى.

قوله: «وَمَنْ حكمَ بغيرِ مَا أنزلَ اللَّهُ».

الشرح: ١- من حكم بغير ما أنزل الله معتقدًا أن ذلك الذي حكم به مثل الذي أنزل الله، أو أحسن وأليق، وهذا يشمل أولئك الذين يستوردون القوانين الوضعية من الخارج، ويحكمون بها، ويشمل أولئك البدو الذين يحكمون بالسواليف والتقاليد في التحريم والتحليل، كل ذلك داخل في من حكم بغير ما أنزل الله، سواءً كان قانونًا مقننًا، أو سواليفَ وعاداتٍ وتقاليد موروثة، كل حكم في التحليل والتحريم بغير ما أنزل الله معتقدًا أن ذلك مثل الذي أنزل الله أو أحسن وأليق وأنسب للناس فهو كافرٌ مرتد من رؤساء الطواغيت.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب باب في الكاهن (١/ ١٤٥)، والترمذي في الجامع أبواب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض (١/ ١٧٨)، وابن ماجه في السنن، كتاب الطهارة، باب النهي عن إتيان الحائض (١/ ٥٠٦) واللفظ له، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «من أتى حائضًا، أو امرأة في دبرها، أو كاهنًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أُنزل على محمد» وصححه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٣٣٨٧).

(٢) [سورة النمل: ٦٥].

والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٢- ومن حكم بغير ما أنزل اللَّه معتقدًا أن ما أنزل اللَّه أحسن وأحق، وأنه مخطئٌ عندما يحكم بغير ما أنزل اللَّه، هذا كفره كفرٌ دون كفر، لا يخرج من الملة مثل الذي يعصي اللَّه بمعاصٍ، بارتكاب المحرمات والكبائر وهو غير مستحل، كالذي يسرق، والذي يشرب الخمر ويعتقد أنه عاصٍ ومخالف، ولكن لم يستحل السرقة والخمر، كفر هؤلاء كفرٌ دون كفر.

٣- ويذكرون قسمًا ثالثًا، وهو من اجتهد ليحكم بما أنزل اللَّه، ولكنه وقع في إصدار الحكم بغير ما أنزل اللَّه مجتهدًا مخطئاً، هذا له أجر الاجتهاد ويعفى له عن خطئه، واللَّه أعلم.

وهذا الذي ذكر أهل العلم عند هذه الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [١] وأقرب مرجع ترجعون إليه لتحقيق هذه المسألة «شرح الطحاوية» عند هذه الآية[٢].

قوله: «والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣]».

الشرح: ليس معنى ذلك أنك لا تدعو إلى الدين، ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾، أي: لا تدخل الدين على الناس بالإكراه، أنت عليك البيان وعليك الهداية وعليك الإرشاد، وأما القلوب فلا يملكها إلا اللَّه، لا تدخل الإيمان في قلوب الناس بالإكراه، لك الظاهر، تدعو وتبين الحق من الباطل، وهذه وظيفة الدعاة.

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، هذه الآية العظيمة حتى في وضعها موضوعة على الترتيب لا إله إلا اللَّه تمامًا، لأن قوله

---

(١) [سورة المائدة: ٤٤].

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبي العز (ص٣٢٣) طبعة المكتب الإسلامي.

(٣) [سورة البقرة: ٢٥٦].

وهذا هو معنى لا إله إلا اللَّه. وفي الحديث: «رأسُ الأمْرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ، وذروةُ سنَامِهِ الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ»، واللَّهُ أعلمُ.

تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ يقابل «لا إله»، وقوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ﴾ يقابل «إلا اللَّه»، من أدق الآيات في تفسير لا إله إلا اللَّه هذه الآية، وهذا معنى قول: «لا إله إلا اللَّه».

قوله: «وهذا هو معنى لا إله إلا اللَّه، وفي الحديثِ: «رأسُ الأمْرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصَّلاةُ» ».

الشرح: رأس الأمر: الإسلام الذي هو الاستسلام والانقياد كما تقدم، وعموده: الصلاة، لا يقوم الإسلام إلا بالصلاة، وإلا فهو بناءٌ غير قائم وغير ثابت، وفي هذا المعنى يقول عمر بن الخطاب ﷺ: «من ترك الصلاة فلا حظ له في الإسلام»[1] وهو يفسر قوله -عليه الصلاة والسلام-: « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر »[2].

يتهاون كثيرٌ وكثيرٌ من العوام بالصلاة بدعوى أن الإيمان في القلب، إذا دعوتهم إلى الصلاة يقولون: (ما عليش) الإيمان بالقلب، لو صح إيمان القلب لصح إيمان الجوارح، وإيمان اللسان، هذا هو الإرجاء المنتشر بين المسلمين، الإرجاء معناه: تأخير الأعمال عن مسمى الإيمان، وأن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو التصديق والنطق معًا، هذا هو الإرجاء المنتشر بين المسلمين كثيرًا وهم لا يشعرون، الإيمان تصديق بالقلب، وذلك التصديق يحتاج إلى تصديق، الذي يصدق ذلك النطق، باللسان

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١/ ١٥٠) برقم (٥٧٩) عن سليمان بن يسار أن المسور بن مخرمة أخبره قال: دخلت أنا وابن عباس على عمر حين طُعِن فقلنا: الصلاة. فقال: «إنه لا حظ لأحد في الإسلام أضاع الصلاة»، فصلى وجرحه يثعب دمًا.

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع أبواب الإيمان، باب ما جاء في ترك الصلاة (٤/ ٣٦٥)، وابن ماجه في السنن كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة (٢/ ٢٨٥) عن عبد اللَّه بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ... الحديث. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الشيخ ناصر في صحيح سنن الترمذي برقم (٢٦٢١).

.....

والعمل بالجوارح، يتكون الإيمان من كل ذلك.

قوله: « وذروةُ سنَامِهِ الجهادُ في سبيلِ اللَّهِ[١] ».

الشرح: أعلى مكانٍ في الإسلام الجهاد في سبيل اللَّه، لماذا ؟ لأن بالجهاد في سبيل اللَّه يقوى الإسلام، ويظهر الإسلام ويكتسب المؤمنون قوة ومنعة، وفي ترك الجهاد ضياع للإسلام، وضياع وضعف للمسلمين، وذلة ومهانة، وهذا ما وقع فيه المسلمون بعد أن تركوا الجهاد، وربما جهل كثيرٌ من الناس معنى الجهاد أخيرًا فظنوا أن كل قتال جهاد، الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام هو الجهاد لإعلاء كلمة اللَّه، لإظهار دين اللَّه، وللمحافظة على دين اللَّه، والدفاع عن دين اللَّه، وعن عقيدة الإسلام، وشريعة الإسلام، هذا هو الجهاد في سبيل اللَّه.

وفي الآونة الأخيرة كثر القتال، تصديقًا لخبر رسول اللَّه ﷺ عندما أخبر عن أمارات الساعة قال: « كثرة الهرج، قيل: وما الهرج يا رسول اللَّه ؟ قال: كثرة القتال»[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي في الجامع أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٤/ ٣٦٢)، وابن ماجه في السنن كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (٥/ ٤٥٩) عن معاذ بن جبل قال: «كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول اللَّه أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار؟ قال: لقد سألتني عن عظيم وإنه ليسير على من يسره اللَّه عليه: تعبد اللَّه ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت... ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما تطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل... قال ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ...﴾ حتى بلغ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه ؟ قلت: بلى يا رسول اللَّه. قال: رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد في سبيل اللَّه... ». الحديث، وصححه الإمام الألباني في الإرواء (٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل (٤/ ٩٨)، ومسلم في الصحيح كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٤/ ٢٠٥٧) عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح ويكثر الهرج. قالوا: وما الهرج ؟ قال: القتل القتل».

.....

« إذا وضع فيهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة»[١]، تسمعون وتقرءون اليوم اندلاع الحروب من مكان إلى مكان، كالنار تتنقل من هنا إلى هناك بين المسلمين على أتفه الأمور، يختلفون على شريط صغير في الحدود فيشتبكون سنوات تراق الدماء.

وفي الآونة الأخيرة كثيرٌ من المنتسبين إلى الإسلام كفروا بالإسلام، وأعلنوا أنهم علمانيون، ولعلهم لا يعلمون معنى العلمانية، العلمانية عدم الإيمان بأي دين، أي: التجرد عن الدين، وكثيرًا ما يغالطون المسلمين وينادون أنهم يجاهدون للإسلام وهم يقاتلون المسلمين ويقتّلونهم ويحاولون القضاء على الإسلام لو استطاعوا، لكنهم يعملون أسلوب المغالطة، يظهرون الجهاد في سبيل اللّه، والدفاع عن المسلمين، والدفاع عن الحرمين، وهم يغالطون المسلمين، وما أفظعها من مغالطة وما أكذبها، استغلوا السذج من الشباب فصاروا يصفقون ويؤيدون العلمانيين ضد المؤمنين.

العلمانيون الذين أعلنوا عن علمانيتهم ويعتزون بعلمانيتهم، هؤلاء أشد كفرًا من اليهود والنصارى، فإذا كان اللّه جعل موالاة اليهود والنصارى ومن يواليهم ويحبهم ويناصرهم أنه منهم، فما بال الذين يوالون العلمانيين والماركسيين[٢] والوثنيين؟! هؤلاء أشد؛ لأن اللّه جعل لأهل الكتاب اعتبارات واحترامًا لكتابهم الأول وإن نسخ، فيجوز للمسلم أن يأكل من ذبيحة أهل الكتاب -اليهود والنصارى-، ويجوز أن يتزوج المحصنات من نسائهم، وإن كان الأفضل عدم العدول إلى نسائهم مع وجود المؤمنات،

---

(١) قطعة من حديث ثوبان ﷺ: أخرجه أبو داود في السنن كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٢٩٠)، والترمذي في الجامع كتاب الفتن، باب (٤/ ٦٦)، وابن ماجه في السنن كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن (٥/ ٤٤٢) وفيه: «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع إلى يوم القيامة»، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم (١٧٩٣).

(٢) الماركسيون: ينتمون إلى التيار الماركسي الذي ظهر في أوربا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهو تيار فكري سياسي اجتماعي وينسب هذا التيار إلى: كارل ماركس اليهودي الألماني، المولود سنة (١٨١٨م) في روسيا والهالك سنة (١٨٨٣م)، وهو مذهب يقوم على الإلحاد وأن المادة أساس كل شيء، وإنكار وجود اللّه وكل الغيبيات، وينتشر هذا الفكر بشكل كبير في روسيا والصين. انظر كتاب: «الشيوعية والإسلام» لـ: عباس محمود العقاد وأحمد عطار.

.....

لكنه جائز.

أما المرتد وأما المجوسي[١] وأما الوثني والهندوسي[٢] والبوذي[٣] هؤلاء جميعًا والعلمانيون من المرتدين، العلماني مرتد لأنه كان مسلمًا ثم اعتنق العلمانية، هذه الملة الخبيثة أخبث من اليهودية والنصرانية، ومناصرة هؤلاء أشد كفرًا من مناصرة اليهود والنصارى، يقول اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾[٤] الموالاة والمحبة والمناصرة، فمن أحب اليهود والنصارى وناصرهم وأضمر لهم الحب والود كأولياء اللَّه يكفر؛ لأنه لا تجتمع محبة اللَّه ومحبة أعداء اللَّه، والموالاة المناصرة، من يناصر العلمانيين ويظاهرهم ويؤيدهم ضد المسلمين وضد المؤمنين قد والاهم، فصار منهم، كل من يناصر العلمانيين ويؤازرهم ويظاهرهم ضد المسلمين ليخربوا بيوت المسلمين، وأوطانهم، وليعتدوا على المسلمين، فهو بهذا قد والى هؤلاء الكفار، فلينتبه لنفسه.

فكثير من المنتسبين إلى الإسلام وللأسف يسمون أنفسهم بالإسلاميين أصبحوا في

---

(١) المجوس: وهم عبدة النيران وهي من أقدم الطوائف ويقال لها: الملة العظمى أو الدين الأكبر، وهم الذين أثبتوا أصلين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور والثاني الظلمة وبالفارسية (يزدان وأهرمن). انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٢٦٠).

(٢) الهندوسية: هي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند وهي من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى هذا الوقت، وهي تضم القيم الروحية والخلقية إلى جانب المبادئ القانونية والتنظيمية، وهي متخذة عدة آلهة بحسب الأعمال المتعلقة بها فلكل منطقة إله، ولا يوجد لهذه الديانة مؤسس معين، والآريون الغزاة الذين قدموا الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد هم المؤسسون لها. انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة للندوة العالمية للشباب الإسلامي».

(٣) البوذية: هي ديانة هندية يعبدون (بوذا) وهي ديانة منتشرة في شبه القارة الهندية وتشكل ٨٥٪ من الشعب الهندي وتأسست قبل ألفين وخمسمائة سنة، واختلف في ولادة بوذا وآخر ما توصلوا إليه ولد عام (٦٢٣) قبل ميلاد المسيح ﷺ وتوفي كما يقال عام (٥٤٣ ق م). انظر كتاب: «البوذية تاريخها وعقائدها» لـ د/ عبد اللَّه نومسوك.

(٤) [سورة المائدة: ٥١].

.....

هذا الوقت في تناقض شديد، يتعاونون مع القوميين[١] والشيوعيين[٢] لمناصرة العلمانيين ضد المؤمنين، كما تسمعون في كثير من الأقطار مظاهرات من الذين يسّمون أنفسهم بالإسلاميين، متعاونين مع القوميين والشيوعيين لمناصرة العلمانيين ضد المؤمنين، هؤلاء يقعون في ورطة في إيمانهم من حيث لا يشعرون، لأن محبتهم -أي: العلمانيين- ومناصرتهم ومؤازرتهم ومعاونتهم على المؤمنين، وعلى الاعتداء على المؤمنين، على أرضهم، وأعراضهم كفرٌ باللَّه.

ننصح كثيرًا من شبابنا في كل مكان الذين ينخدعون بالخطب الرنانة، وبتلك المظاهرات، وبأولئك الذين يسمون أنفسهم بالإسلاميين وهم يناصرون العلمانيين، ننصحهم بأن يتوبوا إلى اللَّه ويرجعوا من قريب، وإلا فالموقف خطير، أنتم لستم بقادرين على الجهاد كما زعمتم، ولكن تريدون أن تجعلوا الجهاد شعارًا ترفعونه ولستم بفاعلين شيئًا، ولكن تضرون إيمانكم من حيث لا تشعرون.

لذلك نصيحتنا لهؤلاء: فليفهموا معنى الجهاد في سبيل اللَّه، الجهاد في سبيل اللَّه

---

(١) القومية: تطلق على أبناء الأصل الواحد واللغة الواحدة وأن يكون ولاؤهم واحدًا وإن تعددت أراضيهم وأديانهم وتفرقت أوطانهم، ويراد بها السعي إلى توحيد الوطن فيكون الولاء مصحوبًا بالولاء للأرض، وهي بلا شك نزعة جاهلية، وكان مولد القوميات في أوربا وتم تصديرها إلى العالم الإسلامي وأول من نادى بها نصارى لبنان وسوريا ومن أمثال القوميين العرب ميشيل عفلق زعيم حزب البعث العربي الإشتراكي وجورج حبش، وغيرهم كثير، ومهمة هذا التيار هو إقصاء الإسلام وجعل فلسفة أخرى وعقيدة أخرى مكانه. انظر كتاب: «بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات». ل: د/ محمد مجاهد. وللشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة بعنوان: «نقد القومية العربية» فلتراجع.

(٢) الشيوعية: مذهب هدام إباحي ظالم من أسوأ ما عرفته البشرية من مذاهب باطلة وجدت على وجه الأرض إبان مجيء طغاتها في الإتحاد السوفييتي سابقًا، وكادت أن تطغى على جميع البلدان لولا أن اللَّه تعالى عاجلهم بالعقوبة على يد آخر حكامهم (جورباتشوف)، وقد أراد أقطابها أن تحل محل الديانات كلها بل محل اللَّه -تبارك وتعالى-، وأول من قام بالشيوعية: رجل يدعى (مزدك) في أيام ملك فارس (قباذ بن فيروز ابن يزدجرد) وقتله الملك (أنوشروان)، وقتل وصلب من جماعته مائة ألف زنديق، وانتهت الشيوعية وقضي عليها إلى أن تولاها فيما بعد (كارل ماركس). انظر كتاب: «المذاهب الفكرية المعاصرة» (٢/ ١٠٥٥) ل: د/ غالب عواجي.

.....

أن تخرج بنفسك ومالك إن استطعت لنصرة اللَّه، ولنصرة دين اللَّه، بعد أن تفهم معنى الدين ومعنى الإسلام، تعلَّم أولًا، العلم قبل القول والعمل، حتى تعلم من المجاهد، وأين الحق وأين الباطل؟ وكونك تصرخ مع كل من يصرخ، وأنت لا تدري أين الحق وأين الباطل وما هو؟ وما هو الحق؟ تشرّق وتغرِّب وراء الناس تجري ناسيًا دينك وإيمانك وموقفك بين يدي اللَّه يوم القيامة، لا تهَلك أيه الشاب، ارجع وتعلَّم واعرف الحق من الباطل ثم جاهد في سبيل اللَّه ﷻ.

هذا وباللَّه التوفيق

وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

« فهرس الموضوعات والفوائد »

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب	٨
ترجمة الشيخ محمد أمان الجامي	١٢
المسائل الأربع	٢٠
المسألة الأولى: (العلم)	٢٠
المسألة الثانية: (العمل به)	٢٤
المسألة الثالثة: (الدعوة إليه)	٢٤
المسألة الرابعة: (الصبر على الأذى فيه)	٢٥
سورة العصر	٢٦
ما المقصود بالعصر؟	٢٧
قول الإمام الشافعي	٢٩
قول الإمام البخاري	٣٠
فائدة: فضل العالم على العابد	٣٠
الثلاثة المسائل الواجب تعلُّمها على كل مسلم	٣٢
الأولى	٣٢
الثانية	٣٤
الثالثة	٣٧
فائدة: الفرق بين الكافر الحربي وبين الكافر الغير الحربي من حيث المعاملة	٣٨
أعظم ما نهى عنه النبي ﷺ الشرك	٤٢
فائدة: هل الشرك دعوة غير اللَّه مع اللَّه فقط، أم هو أعمُّ من ذلك؟	٤٢
ما هي الأصول الثلاثة؟	٤٣

الأصل الأول: من ربك؟ ٤٣
فائدة: كيفية معرفة اللَّه -تبارك وتعالى- والأدلة على ذلك ٤٤
لماذا قال الإمام: الرب هو المعبود؟ ٤٧
أنواع العبادة ٤٩
فائدة: هل كل من صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير اللَّه فهو كافر؟ ٥٧
الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة ٦٦
مراتب الدين الإسلامي ٦٨
(المرتبة الأولى): الإسلام ٧٠
فائدة: معنى لا إله إلا اللَّه ٧٠
فائدة: أن الاشتراك في الصفة بين الخالق والمخلوق إنما هو من باب الاشتراك في اللفظ والمعنى العام وهذا لا يضر ولا يوقع في التشبيه ٧٥
فائدة: ما هو المطلق الكلي عند علماء الكلام؟ ٧٥
معنى شهادة أن محمدًا رسول اللَّه ٧٧
(المرتبة الثانية): الإيمان ٨١
تعريف الإيمان عند بعض الفرق ٨١
فائدة: قول أبي حنيفة في الإيمان ٨٢
فائدة: أن الإرجاء الذي وقع فيه أبو حنيفة غير إرجاء أهل الكلام ٨٣
تعريف الإيمان لغة وشرعًا عند أهل السنة والجماعة ٨٤
فائدة: هل يكفي أن نقول: لا إله إلا اللَّه فقط لكي نحقق الإيمان؟ أم لا بد من شهادة أن محمدًا رسول اللَّه؟ ٨٦
فائدة: تعريف ابن القيم للإيمان ٨٧
أركان الإيمان ٨٩
(المرتبة الثالثة): الإحسان ٩٤
فائدة: الفرق بين المعية الخاصة والمعية العامة ٩٥

شرح حديث جبريل ٩٧
الأصل الثالث: معرفة النبي ﷺ ١٠٢
فائدة: كيف أن دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب تعتبر تجديد عام لكل ما جاء به النبي ﷺ بدءًا من التوحيد ١٠٧
فائدة: أن النبي ﷺ سمع كلام اللَّه ﷻ بصوت ليلة أسري به بدون واسطة ... ١١١
تعريف الهجرة: لغة واصطلاحًا ١١٣
فائدة: هل هجرة الصحابة إلى الحبشة هي بمعنى الهجرة في الاصطلاح، أم هي بمعنى آخر؟ ١١٣
فائدة: حكم الاستعانة بالمشرك على المشرك والخلاف في ذلك ١٢٠
فائدة: هل يعذر من حالت شبهة بينه وبين ما جاء به النبي ﷺ؟ ١٣٣
تعريف الطاغوت وأنواعه ١٣٧
فائدة: التفصيل في مسألة الحكم بغير ما أنزل اللَّه ١٤٠
معنى الإكراه في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ ١٤١
فائدة: لماذا النبي ﷺ جعل الجهاد أعلى مكانا في الإسلام ١٤٣
فائدة: ما هي العلمانية ؟ ١٤٤
فهرس الموضوعات والفوائد ١٤٩

* * *

من إصدارات الدار

إلى متى والبعض يخدع

بقلم

د. عبد السلام بن سالم السحيمي

مكتبة دار النصيحة

السعودية - ٠٠٩٦٦٥٠٤٣٤٧٣٢٣

دار المدينة النبوية

مصر - ٠٠٢/٠١٠١٨٠٦٣١٢